وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية أصول الدين

المعرفة العقدية عند ابن تيمية
"مصادرها و طرقهـ ـا "
دراسة تحليلية نقدية

بحث مقدم لنيل درجة الماجيستير في العلوم الإسلامية
قسم العقائد و الأديان

إعداد و تقديم الطالب
أمحمد ربيع

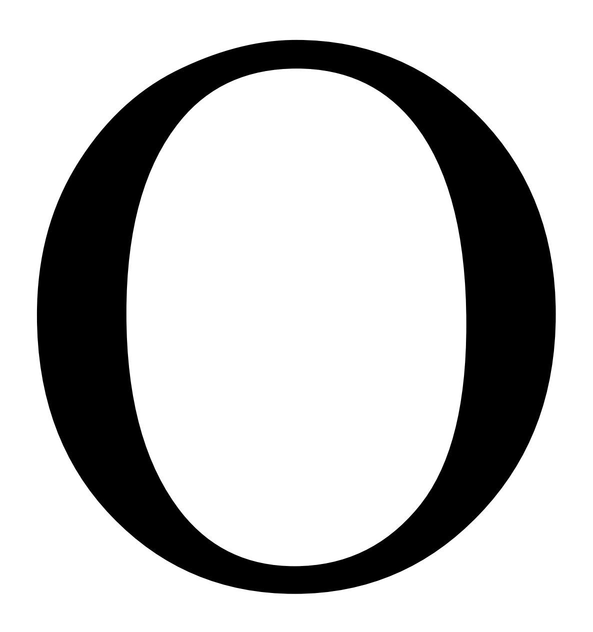
إشراف الدكتور
عمار جيدل

أعضاء اللجنة

الدكتور : إبراهيم التهامي : رئيسا
الدكتور : يوسف حسين : عضوا

السنة الجامعية :1422 - 1423 هـ / 2001–2002 .

2



الإهـــــــــــــــــــداء

ـ إلى روحي أبوي الطاهرين ، اللذين كانا سببا في وجود ي واجتـهدا في تربيـتي وتعليمي ، وتمنيا على الله أن أكون لهما في الدنيا ذكرا وفي الآخرة ذخرا . ((رب ارحمهما كما ربياني صغيرا)) . الآية 24 من سورة الإسراء

ـ إلى روح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الذي أعطى المثل في اقتفـاء أثـر السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ

ـ إلى مشايخي الذين منحوني رعايتهم ، ولم يدخروا وسعا في توجيهي .

ـ إلى أساتذتي الذين أخذوا بيدي حتى إنجاز أبحاثي وبلوغ أهدافي .

.ـ إلى أصدقائي الذين قدموا لي كل معونة وشجعوني على طلب العلم .

ـ إلى كل الدعاة المخلصين ،الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

ـ إلى شهداء فلسطين الذين ضحوا بأنفسهم لأن تكون كلمة هي العليا .

ـ إلى كل أفراد أسرتي الذين تحملوا الكثير من المعاناة ، وصبروا علي حتى تحقيـق غايتي ومرادي .

أهـــدي إليهم جميعا هذا الجهد المتواضع الذي هو ثمرة فؤادي وأحتـسبه عنـد الله ليقيل به عثراتي .

شكر و تقدير و عرفان

الحمد لله الذي وفقني وأعانني على إنجاز هذا البحث المتواضع على الرغم من سعته وتشعبه وكثرة مصادره ومراجعه .

ـ وعليه فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بأصدق عبارات الشكر والثناء و العرفان بالجميل لكل من قدم لي يد المساعد ة ـ بغية تحقيق هذا الجهد النبيل ـ من أساتذتي الأفاضل في مختلف الأطوار منذ طفولتي وحتى بلوغ سن كهولتي .

ـ إلى أستاذي وأخي الدكتور : عمار جيدل الذي أشرف على تتبع بحثي وصبر على كثرة ترددي وإلحاحي ، ولم يدخر وسعا في تدارك هفواتي وتصويب اجتهاداتي .

ـ فجزى الله الجميع عني كل خير، وأمد في أعمارهم وبارك في حياتم لتنتفع الأجيال مما حباهم الله به من علم وعرفان .

الرموز المستعملة :

مخ = مخطوط .

/ = فاصل بين التاريخ الهجري والميلادي ، أو بين الجزء والصفحة .

ج = جزء .

ت = توفي .

د.ت = دون تاريخ .

د.نا = دون ناشر .

ص = صفحة .

ط = طبعة .

( ) = النص المنقول حرفيا .

(( )) = خاص بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية .

1 ، 2 = بعد نهاية الفقرة على أنها منقولة بتصرف من الباحث .

المعرفـــة العقديـــة عنـد الشيـخ ابـن تيميـه
"مصادرهـــا وطرقهـــا"

مقدمـة

في نهاية القـرن السـابع وبداية القـرن الثـامن الهجـري ، ظهرت للوجود شخصية فذة متميزة يمكن أن توصف بالموسوعية وذلك لما حوته من علـوم شتى ولمشاركتها في الكثير من القضايا المصيرية للأمـة الإسلامية إنهـا شخصيـة الإمام أحمـد بن عبد الحليم ابن تيمية المولود بحران سنة إحدى وستين وستمائة هجرية .

ولعل طبيعة العصر الذي وجدت فيه هذه الشخصية هي التي جعلت منه أي ابن تيميـة يخوض مجالات شتى من مختلف العلوم ، كونه عاش في دمشق حاضرة العلوم ومصفـاة الفنون .

فكان لنبوغه بالغ الأثر عند معاصريه مما دفع خصومه إلى التربص به في أكثر مـن موقـع ،كيف لا وهو الفذ في علومه ، المغوار في بطولاته ولا يزال التـاريخ يذكـر مواقفه الجريئة في مواجهة جند التتار .

ولذلك حينما نذكر فترة التقاء القرنين السـابع والثامن الهجريين يتبادر إلى أذهاننا ذكر العلامة النحرير : ابن تيمية_ رحمه الله _

وكأن ذلك العصر لا يوجد فيه غيره .والحقيقة أن مامنّ الله به على شخص ابن تيمية من حدة الذكاء وقوة العزيمة وصدق البصيرة جعله ينفرد على غيره من الجهابذة بوفرة العلوم وتنوعها حتى أنه لم يترك ميدانا منها إلا كان له فيه شأن.

فبلغ صيته الأصقاع وعمت شهرته عصره وتناقلتها الأجيال من بعده لكن الناظر في تراث الرجل يرى أن هذه الشخصية لم تستوف حقها من الدراسة والبحث خصوصا إذا علمنا أن ابن تيمية كان موسوعة زمانه .

وعليه ارتأيت أن أتناول جانب المعرفة والمعرفة العقدية على وجه الخصوص عند ابن تيمية بالإضافة إلى المصادر التي اعتمد عليها في تقرير الحقائق التي اهتدى إليها كما أتناول المنهج الذي سلكه الشيخ في إثبات معارفه التي فاق بها أهل زمانه وخلف بها أجيالا من العلماء يحملون رسالته ويمثلون مدرسة كان وما يزال تأثيرها حتى على أفكار نخبة من علماء اليوم .



ذلك أن كثيراً من الدارسين لأفكـــار الرجل من خلال مؤلفاتـــه يجعلـــونه النقطـــة المركزية عند محاولات العودة إلى الذات الإسلامية الخالصة وتنقيتها مما علق بها من آثار التصادم الحضاري، فكان بذلك ـ حسب نظرهم ـ المشكاة التي نهتـــدي بهـــا في طريقنا حتى نتمكن من الاستزادة من معين الســـلف الصـــالح – رضـــوان الله عليهم أجمعين .

فالدراسات السابقة عن ابن تيمية – رحمه الله – لم تتطرق إلى بحث المعرفة العقدية عنـــده كموضوع مستقل ـ إن صح التعبير ـ إلا ما كان من ومضـــات لهـــا في بعـــض الدراسات عنه . 1

لذلك كان الأولى في تقديري ـ حتى أنصف الرجل ـ التطرق إلى موضـــوع المعرفـــة العقدية عنده حتى أستجلي مفهومه للمعرفـــة العقديـــة وبيـــان طرقـــها ومصادرهـــا .

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

1 ـ الدكتور عبد الفتاح محمد سيد أحمد في كتابه الموسوم التصوف بين الغزالي وابن تيمية أشار في الفصل الثاني ، المبحـــث الثالث منه إلى المعرفة الفطرية عند ابن تيمية ، لكنها إشارة خفيفة .

الإشكالية :

من خلال دراستنا لتاريخ أمتنا الإسلامية ندرك أن من ضمن ما ابتليت به أمتنا هو ظاهرة التعصب للمذهب أو الشخص إلى درجة أنه لم يعد مسموحاً بالنقد والجرح أو التعديل لذلك الشخص أو ذاك المذهب، وكأنه بلغ درجة من العصمة عند أتباعه ومريديه ولعل هذا ما أكسب ذاك القدوة شهرة . والحقيقة أن مثل ذلك السلوك يعود إلى تفشي الجهل الذي ما كان ينبغي ظهوره في أمة بنيت أسس دعوتها على العلم والمعرفة . إن هذه الظاهرة، ظاهرة التعصب تكاد تكون نتيجة حتمية لبقايا الجاهلية التي دفعنا ثمنها عبر حقبنا التاريخية. وكان الأجدر بنا عوض التعصب للمذهب أو الشخص، أن نهتم بدراسة تراث علمائنا اهتماما يجعلنا نستفيد منه في مسايرة الركب الحضاري ومواجهة تحدياته . وفي وسط هذا الزخم الفكري الحضاري، وجدنا من يرفعون شعار الانتساب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية دون معرفة حقيقية لآرائه وأفكاره . ولا علم لهم بمنهجه في النقد والتحليل ولا بالفقه الذي يدعو إلى الوسطية والاعتدال في فهم الكتاب والسنة عند ابن تيميه - رحمه الله - فكثيرهم لا يملكون إلا العاطفة الجياشة التي حجبتهم عن البحث والتنقيب في تراث الرجل . ومن هذا المنطق يمكننا أن نتساءل عن المنهج والطريق التي يراها ابن تيمية - رحمه الله - موصلة إلى المعرفة ؟ وما مصادر هذه المعرفة التي يبتغي الوصول بها إلى إدراك الحقيقة المنشودة ؟ وهل استطاع ابن تيمية أن يفيد المسلمين من خلال المنهج الذي تبناه ؟

وهل يمكننا توظيف منهجه اليوم في تعاملنا مع مختلف العلوم حتى نتمكن من ترشيد العاطفة وإخضاعها لسلطان العلم والمعرفة وفق المنهج الذي استخدمه ابن تيمية - رحمه الله .

الفرضـيـات :

إذا نحن أمعنا النظر في مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وجدنا عنده طريقة العـرض والتحليل تتلاءم مع طبيعة عقل المسلم وفطرته السوية.

لذا وجدنا إقبال الناس عموما والعلماء خصوصا على هذه الآثار قراءة وشرحاً وتحليـلاً ونقداً وتمحيصاً، وجعلوا منه ـ أي ابن تيميه ـ قدوة لـمن أراد أن يتلمـس طريـق السلف الصالح، فكان بمثابة المنار الذي يهتدى بـه إلى ذلك ـ حسب تصور بعـض الدارسين ـ هذا من جهة، ومن جهة ثانية إذا عدنا إلى التاريخ وحاولنـا اسـتقراءه وجدنا أن تعاطف الناس كثيراً ما كان مع المظلومـين المضطهدين وابن تيمية - رحمـه الله - عانى الكثير من الإجحاف حتى أن التاريخ ذكر عنه بأنه اتخـذ من السـجون منازل له فكانت آراءه ومواقفه سببا للدفاع عنه والتعصب له .

ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن المنهج الذي سلكه ابن تيمية للوصـول إلى المـعرفة وما تميز به من وضوح العبارة، وقوة الدليل، وحصول القناعة ورد الخصـوم ، جعله مقبولا ومفضلا على غيره عند المسلمين.

بالإضافة إلى قدرته الفائقة في استخدام المنطق الصوري والمنـهج التجريـبي والذوق الصوفي وكون المصادر التي يراها منابع المعرفة المنشودة هي :
القرآن والسنة والإجماع ثم القياس وحجج العقول وخبرات السلف الصـالح وكذا الخبرات الإنسانية ، كل ذلك جعل من ابن تيمية رائدا في ميدان المعرفة .

إذا كان ابن تيمية - رحمه الله - قد درس العلوم التي كانت في عصره واستطاع بفضل ما فتح الله به عليه من مواهب أن يقوم بنقد وتمحيص العديد من الأفكار والآراء .

فإنه بلا ريب أفاد المتأخرين من خلال المنهج الذي اتبعه، وأثرى الفكر الإسلامي من الناحية المنهجية في التعامل مع مختلف العلوم والذي يمكننا كذلك من دعوة أهل العاطفة إلى البحث والدراسة باعتبارها كفيلة للحيلولة دون المزايدة في الحب أو التعصب لشخص أو مذهب والانتقال من مجرد الكلام إلى الفعل حتى نتمكن من وضع الأمور المعالجة في نصابها ونزن القضايا بمثاقيلها . لذلك فإن البحث العلمي الحقيقي و الموضوعي يقتضي منا الابتعاد عن مواطن الانجذاب العاطفي أو التعلق بالخلفيات والأحكام المسبقة ، فعلى هذا المبنى وضعت خطة بحثي الموسوم بالمعرفة العقدية عند ابن تيمية " مصادرها وطرقها " وعليه فقد قسمت البحث بعد المقدمة إلى ستة فصول تندرج تحت كل فصل مباحث يختلف عددها بحسب طبيعة الموضوع فخصصت الفصل الأول: للحديث عن عصر ابن تيمية - رحمه الله - وضمنته مبحثين تطرقت في الأول منهما للأوضاع السائدة آنذاك في مختلف المجالات: السياسية الداخلية والخارجية ، والثاني تناولت فيه الحياة الاجتماعية والثقافية دون التطرق إلى العوامل الاقتصادية على اعتبار أنها متضمنة في المجال الاجتماعي الذي يعكس الصورة الحقيقية لنمط الحياة السائدة حينذاك. وفي الفصل الثاني: تناولت فيه ترجمة لحياة ابن تيمية في شكل مبحثين خصصت الأول منهما لمولده ونشأته بالإضافة إلى شيوخه وتلاميذه ، و أما الثاني تناولت فيه ما تركه من آثار علمية وفكرية عكست بحق مواقفه في مختلف الميادين ، وأعطت انطباعا صادقا على ما كان يتمتع به الشيخ من قدرات ومواهب جعلته قدوة لبعض السالكين ومنارة للمهتدين .

أما الفصل الثالث : فقد جعلته لمفهوم المعرفة عند اللغويين وفي اصطـــلاح المتكلمـــين وتعرضت فيه بإيجاز إلى المراحل التي مرت بها اللغة وخصوصا العربية منها باعتبارهــــا لغة القرآن ، لأصل بعد ذلك إلى مفهوم المعرفة عند اللغويين ، وأفردت لذلك مبحثـــا يتعلق بالمبنى والمدلول اللغوي لكلمة المعرفة .

أما المبحث الثاني : فقد ذكرت فيه المعرفة في اصطلاح المتكلمين واكتفيت بذكـــر ثلاث فرق كلامية هي : المعتزلة ، والمرجئة ، والأشـعرية باعتبارهـا ذات صلـــــة بموضوع بحثي .

أما في الفصل الرابع: فقد تطرقت فيه إلى مصادر المعرفة ، وضمنته مبـحثين:

الأول يتعلق بالمصادر الشرعية التي اعتمدها الشيخ في تقرير المعرفة العقدية وأقصـد بذلك القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وقد اقتصرت عليهما دون غيرهما من المصـادر الأخرى من إجماع وقياس , ذلك لأني أرى من خلال دراساتي أن مسـائل العقيـدة تؤخذ من الوحي(قرآنا كان أو سنة) باعتبارهما الكفيلين بالحديث عن الغيـب دون غيرهما . وأن المصادر الأخرى متضمنة فيهما .

والثاني:ذكرت فيه المصادر الذاتية المودعة في النفس البـشرية وأعني بها الفطـــــرة التي فطر الناس عليها و ما يتبعها من الإدراكات القلبية والإشراقات الإلهامية,ثم بينـت مراحل التدرج للفطرة ـ عن طريق العمل والاكتساب ـ حتى تغدو سوية نقية .

أما الفصل الخامس :

فقد خصصته لطبيعة المعرفة العقدية عند ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وقسمته إلى مبحثين أفردت أولهما لبيان طبيعة المعرفة لكونها نقلية تعتمد الوحي مرجعا لها . أي أنها تعتمد على الأدلة السمعية وتقديمها مطلقاعلى الأدلة العقلية ،مع عدم إهمال العقل، وتوظيفه لفهم النصوص .

و أوضحت في المبحث الثاني: صبغتها النقلية والعقلية على اعتبار عدم تعارض النص الصحيح مع العقل الصريح ، لكونه أداة لفهم ما جاء في الكتاب الكريم والسنة الشريفة .

ثم أشرت إلى الأثر الفعال للحواس في تحقيق المعرفة العقدية ، من خلال مشاهدة الكون وما فيه من دلائل الإعجاز للقدرة الإلهية .

أما الفصل السادس :

فقد أفردته لبيان المنهج الذي سلكه ابن تيمية في إيضاح المعرفة العقدية ، و ضمنته مبحثين :

أحدهما تطرقت من خلاله إلى منهج المتكلمين في التعامل مع الكتاب والسنة ، وما اعتمدوا عليه من براهين عقلية لتأويل نصوص الكتاب والسنة , وقد اقتصرت على ذكر ثلاثة فرق أساسية وأعني بها : المعتزلة والمرجئة والأشعرية . باعتبارها متقابلة في مفهوم المعرفة العقدية .

وقد تعمدت تقديم منهج المتكلمين وموقفهم من المتشابه من التأويل ، ثم مفهومهم للتأويل . لأخلص بعد ذلك إلى ما تميز به منهج السلف عن غيره .

أما المبحث الثاني : فقد ذكرت فيه كيف تعامل الشيخ مع نصوص الكتاب والسـنة ومع خبرة السلف الصالح من خلال استدلاله بالآية وقياس الأولى على وجـود الله وما يليق به من أسماء وصفات ، وأعطيت نبذة من تفاسيره وأمثلة من فتاوى السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ

وقد سلكت هذا المسلك بغية توضيح منهج الشيخ المتميز بخطه السلفي المعتدل بعـد مقارنته وبيان البون بينه وبين مناهج المتكلمين الذي أطلقوا العنان للعقل وقدموه علـى النص ثم حكموه فيه .

أما الخاتمة فقد حوصلت فيها ما توصلت إليه من نتائج البحـث المتمثلـة في تذليـل الإشكال والفرضيات المنطلق منها لصياغة البحث ، مبديا رأيي فيما توصلت إليه مـن معلـومات .

كما أنيت العرض بجملة من مختلف الفهارس ،كفهرس الآيات القرآنيـة ، وفـهرس الأحاديث النبوية ، وفهرس الأماكن والأعلام ،وفهرس الفرق والمذاهـب ، وفـهرس المصطلحات ، بالإضافة إلى فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

وقد ذكرت هذه الفهارس كلها نظرا لطبيعة البحث وما يقتضيه ، وحتى أيسـر علـى القارئ الكريم استعاب الموضوع والرجوع إلى مصادره ومنابعه كلما دعت الحاجـة إلى ذلك .

وقد تطلب البحث مني استخدام المناهج التالية :

ـ المنهج التاريخي الاسترداد ي : وهو محاولة استعاب واستعادة الأحـداث التاريخيـة وفق ترتيبها الزمني ـ مع شئ من التحليل والاستنتاج ـ وأحيانا أكتفي بإحالتهاعلـى مصادرها ، لعدم اتساع البحث إليها .

ـ المنهج الوصفي :سلكته في عرض الوقائع التاريخية المتعلقة بعصر الشـيخ وحياتـه الشخصية وما نتج عنها من مواقف سياسية وعلمية متميزة .

ـ المنهج الاستقرائي : وأتيت به بغية تتبع كل اثر له علاقة بابن تيمية ـ رحمه الله ـ من معرفة شيوخه و تلاميذه ومؤلفاته حتى أتمكن من إعطاء تصور واضـح للمكانـة اللائقة بالشيخ ابن تيمية .

ـ منهج المقارنة والنقد والتحليل :

وأعني بذلك مقارنة النصوص ببعضها ثم نقدها ، وهي محاولة من الباحث بعدم قبـول كل ما وصل إليه إلا بعد تمحيصه ، ثم تحليله واستخلاص النتائج المتوخاة منه .

الفصـ ـ ـل الأول
(عصـر الشـيخ ابن تيمية)

المبحث الأول : العوامل السيـ ـ ـ ـ ـ ـاسية .

العوامل السياسية الخـارجية .

العوامل السياسية الداخلية .

المبحث الثاني :العوامل الاجتماعية والثقـافية .

العوامل الاجتماعـ ـ ـ ـ ـية .

العوامل الثقـ ـ ـ ـ ـ ـافية .

الإنسان اجتماعي بطبعه منذ أن وجد في هذا الكون الفسيح، فهو في حاجة إلى من يؤنس وحشته وهو في حاجة كذلك إلى من يعينه على تكاليف الحياة وحفظ البقاء. ولا يمكن لأي فرد من أفراد المجتمع أن يستغني عن هذا الاجتماع البشري وأن يحصل على اكتفاء ذاتي إلا بالتآزر والتعاون مع باقي أفراد جنسه . (أن الاجتماع الإنساني ضروري... لأن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته .. فهو يحتاج إلى اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ...حتى يحصل التعاون على الكفاية من الحاجة لأكثر من أضعافهم ...) 1

وعليه فهو يتأثر بمختلف العوامل والمتغيرات المعاصرةله، لذلك فإن للزمكانية دور أساسي في حياة الإنسان، يظهر أثره في توجيه حياته وبناء شخصيته ، فالإنسان من هذه الناحية كغيره من الكائنات الحية التي تتأثر بمختلف العوامل البيئية .

غير أن الإنسان يمتاز عنها بكونه ناطقا ومفكرا استخلف في الأرض ليعمرها فيؤثر فيها كما يتأثر بها وبمن فيها .فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته بأن الإنسان متميز عن غيره من الحيوانات بخواص اختص بها ذكر منها الفكر الذي به شرف على المخلوقات الأخرى . 2

قال تعالى: ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)) . 3

وقال تعالى: ((يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)) . 4

---

1 ، 2 ـ راجع مقدمة ابن خلدون /دار الكتاب اللبناني/ ط 2/ج1/ص67،، 69 ، 70 .

3 ـ الآية 30 / من سورة البقرة .

4 ـ الآية 25 . / من سورة ص .

وقد يكون العصر الذي يعيش فيه المرء يغلب عليه الصلاح ـ كما كـان الشـأن في عهد الخلافة الراشدة ـ فيتأثر به وينشأ بشرا سويا، وقد يكون فاسدا فينعكس علـى معاصره ويترك أثره فيه، وقد يحصل غير ذلك . فعلى الرغم من المتناقضات والفتن التي يعايشها الشخص ويعانيها،قد تكون له حافزا إيجابيا يجعله يسعى في البحث عن بديـل حضاري له يقول الشيخ أبو زهرة في كتابه (ابن تيمية حياته وعصره) :

(إن البيئة الصالحة لا تنمو إلا بسقي ورعي وجو تتغذى منه وتعيش فيه، فكل حـي يتأثر بالجو الذي يستنشق منه والبيئة التي تظله، فإن البيئات تفعل في نفس الإنسان مـا لا يفعله المربون ولذلك كان للعصر الذي يعيش فيه العالم الأثر الذي يوجهه) . 1

أبو زهرة من خلال هذا يؤكد صحة ما ذهب إليه بعض علماء الاجتماع مـن أمثـال عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته من أن الإنسان ابن بيئته وهو اجتماعي بطبعه.2

ثم يسترسل الشيخ في ذكر أنواع الأثر الذي تخلفه فيه فيقول :

(... وقد يكون الأثر من جنس حال العصر فإن كان العصر فاسدا فسد الرجـل،وإن كان صالحا صلح، وقد يكون التأثير عكسيا فكثرة الفساد تحمل على التفكير الجدي في الإصلاح وكثرة الشر تحمل على استحصاد العزائم للخير.وقد تكون دافعة للمصلـح لأن يفكر في أسباب الشر فيقتلعها وفي نواة الخير الكامنة فيغذيها) . 3

----

1 ، 3 ـ أبو زهرة (ابن تيمية حياته وعصره) ـ ط/ دار الفكر العربي ـ ص 124.

2 ـ ابن خلدون / المرجع السابق / ص 67 بتصرف

وبعد أن بين عوامل التأثير والتأثر بين الإنسان وعصره ، صرح بأن أمثال ذلك كـــان جليا في التجاوب الذي حصل بين ابن تيمية وعصره, فابن تيمية ـ رحمه الله ـ تغـذت روحه غذاء صالحا نتيجة لما تلقاه في صباه وشب عليه في فتوته وما آل إليه في كهولتـه وشيخوخته ،كان ذلك دافعاله للبحث عن ينابيع الشرع الأولى من هدي المصطفـــى صلى الله عليه وسلم ، وأثر السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم .

وكان بموجب ذلك التوجه والإحساس الذي استصحبه منذ صباه ، يعيـــش معركـة نفسية شديدة يسعى من خلالها لإعادة وبعث السنة وإحيائها لتكون الـدواء النـاجـع والنور الساطع لدياجير تلك الظلمات التي عمت عصره فأضعفت الأمـــة وكسـرت شوكتها وأذهبت ريحها.

فعصر الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وما ساد فيه من أوضاع مختلفة كان لـها بـالغ الأثر في شخصية ابن تيمية .

فتلك التحولات السياسية المتسارعة بما فيها الاجتماعية والثقافية التي عاصرها الشـيخ جعلت منه رجل البطولات والتحديات حتى غدا شاهد قرنه كما نلمس ذلـــك مـن خلال مواقفه في وجه التتار عدو الأمة ، بالإضافة إلى وقوفه إلى جـانب المستـضعفين وصد الظالمين من الساسة المعتدين والمغتصبين لحقوق الرعية

المبحث الأول : العوامل السيـاسية :

الوضع السياسي في أي بلد له انعكاسه على مختلف مجالات الحياة الأخرى اجتماعيـة كانت أم ثقافية.

وعليه فالوضع السياسي الذي ساد في نهاية القرن السابع الهجري وبداية القرن الثامـن والذي عاصره ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كان مستصحبا لتلك المآسـي والمحـن الـتي عاشتها الأمة منذ قرون خلت، فقد تميز عصره بعدم الاستقرار وكثرة الفتن وتكـالب الأعداء .

يصدق عليه ما رواه أبو داود والبيهقي عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :

((تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال :لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل وليـ عن الله مـن قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)) . [1]

وفعلا فقد أصاب الأمة ضعف شديد نتيجة الفتن والويلات المتتالية أوجزهافي جملة مـن العوامل الخارجية والداخلية التي كان لها بالغ الأثر في واقع الأمة وعلى مسـتقبل أبنائها آنذاك .

----

1 ـ أخرجه أبو داود في باب تداعي الأمم على الإسلام / ج 3 / ص 111 / رقم الحديث 4297 .

العوامل السياسية الخارجية :

وتتمثل في الحملات الصليبية ، وهي تلك الحروب التي كانت تشنها أوروبا ضد الشعوب الإسلامية - بتأييد من الكنيسة - تحت شعار الحرب المقدسة وبدعوى استرجاع بيت المقدس وقبر المسيح - حسب زعمهم - فشملت بلاد الشام والأناضول ومصر.

وقد كانت في حقيقة أمرها بدافع الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين . ففي منتصف القرن الخامس الهجري في الوقت الذي كانت الأمة الإسلامية تعاني فيه من عوامل التفرقة و التشرذم كان الغرب النصراني يتربص بالمسلمين الدوائر ويتحين الفرص المواتية للانقضاض على بيضة الأمة التي ردت كيدهم وألحقت بهم هزائم متعاقبة طيلة القرون الخمس الهجرية الزاهرة . 1

والمتأمل لحالة المجتمع الإسلامي قبل انطلاق تلك الحروب الصليبية يدرك طبيعة الظروف التي تحينها الصليبيون لتوجيه هجماتهم ضد المسلمين ، فقد كانت مصر مثلا تعيش مأساة الحكم الفاطمي بانحرافاته وتناقضاته وكثرة صراعاته الداخلية ، مما جعل الفجوة كبيرة بين مصر و الشام .

أما في بغداد فقد كانت الخلافة العباسية في وضع هزيل، فقد كثر المعارضون لسلطان الدولة وكثرت الثورات والصراعات المذهبية الداخلية ، وبرزت دويلات صغيرة متناحرة ومتطاحنة ومستأثرة ومتمردة على الخلافة العباسية ببغداد منها : البويهية و السلجوقية . 2

---

1 - أبو زهرة / المرجع السابق / ص 128 - 129 بتصرف .

2 - ابن القيم / هداية الحيارى / تق : د . محمد احمد الحاج / دار القلم / دمشق / ط 1 / 1416 هـ 1996 م / ص 22 - 36 بتصرف .

فمثل هذه الأوضاع المزرية التي كان عليها العالم الإسلامي هي التي شجعت الطامعين وفتحت المجال أمامهم الكرة تلو الأخرى للنيل من المسلمين ومقدساتهم .

لقد تعددت الآراء وكثرت التعليقات حول الأسباب والخلفيات التي دفعت الصليبيين إلى شن حملاتهم الشرسة ضد المسلمين ، فهناك بعض الباحثين من فسرها بالعامل الديني وهناك من جعل الدافع لها العامل الاقتصادي ، أو الرغبة في التوسع الجغرافي ومهما يكن فإن الأمر لا يعدوا أن يكون أحد هذه العوامل أو جميعها ، تظافرت حسب مراحل مختلفة فاتخذها الأوربيون ذريعة وحافزا لتحقيق انتصاراتهم على المسلمين . إننا نذكر ذلك الانتصار الرائع وذلك الفتح المبين الذي حققه المسلمون على الروم حيث هزموهم هزيمة نكراء في معركة اليرموك سنة 13هـ وأجلوهم عن الشام، ومازال التاريخ يذكر مقولة هرقل على إحدى تلال السورية كما جاء في كتاب هداية الحيارى لابن القيم: (سلام عليك يا سورية سلام لا لقاء بعده) .

لذلك فإنني أرجح أن مثل تلك الانتصارات التي حققها المسلمون والهزائم التي مني بها الصليبيون طيلة القرون الخمس للهجرة النبوية، هي التي كونت لدى الخصم حقدا دفينا توارثته الأجيال فأصبح جزءا من كيانهم كلما تصفحوا التاريخ تحركت أشجانهم ولم ييأسوا من تحين الفرص وتربص الدوائر بالخصم الذي يعنون به كل مسلم . وعليه فالعامل الديني التاريخي يمكن اعتباره أهم البواعث والدوافع التي وجهت تلك الحروب الصليبية وجهتها، ويستدل الدكتور جوزيف نسيم على أهمية هذا العامل وأولويته في تفسير الحروب الصليبية بما يلي :

أن المؤرخين الغربيين أنفسهم من القدامى والمحدثين نظروا إليها هذه النظرة حتى أنهم أطلقوا عليها الحرب المقدسة .لأنها قامت لإنقاذ قبر المسيح – حسب زعمهم – والأرض المقدسة من قبضة المسلمين

وعليه كل الحملات الصليبية نظمت تحت إشراف الكنيسة الرومانية والبابوية نفسـها و ليس أدل على ذلك مما قاله مؤرخ صليبي عاصر أحداثها هو رو برت الراهب :
(أنها كانت من عمل الله وليست من عمل الإنسان) . 1

تلك جملة من المبررات التي أوجزها المستشرق جوزيف نسيم فهي شهادة مـن أهلـها لتقوية ما ذهبت إليه في ترجيحي .

وأما المحاولات المزيفة التي يحاول المستشرقون الغير المنصفين والذين يعملـون علـى تشويه التاريخ أو تعويم أحداثه أو تجاهل حقائقه كقولهم بإبراز العامل الاقتصادي علـى اعتبار أن الشرق الإسلامي يزخر بموارد ومنتجات فتحت شهية الاستعمار الصليـبي وجعلته محل أطماعه . والحقيقة غير ذلك فلا العامل الجغرافي ، ولا الرغبة في التوسـع الاستيطاني ولا الباعث الشخصي في حب السيطرة والنفوذ ، ولا العامل الاقتصـادي كان وراء تلك الحروب الصليبية الوحشية .

وعلى الرغم مما ذهب إليه المؤرخ الفرنسـي رينيه جرسيه الـــــذي قال : (إن الحروب الصليبية أدت إلى أول توسع استعماري للغرب المسيحي في الشرق العربي) 2
وقول زميله الإنجليزي جورج ترفيان :(إن الحركة الصليبية هي حركة اتساع خـارجي قامت به أوربا المسيحية الإقطاعية ضد العرب) . 3

----

1 ، 2 ، 3 ـ ابن القيم / هداية الحيارى / تق: محمد أحمد الحاج
دار القلـم / دمشق / ط1 (1416ه – 1996م) ص 20 – 22.

فعلى الرغم من تفسيرات المستشرقين لطبيعة الصراع القائم بين اليـهود والمـسـلمين بالصراع الاقتصادي القائم على الأرض ومواردها ، متجـاهلين ومتناسـين الحقـائق التاريخية التي تؤكد الصبغة العقدية الحضارية للصراع الطويل بين المسلمين من جهـة وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى مصداقا لقوله تعالى :

((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذيـن أشركوا)) . 1

والحقيقة الساطعة التي لا يمكن تغطيتها وإن كان الغرب يعمل على تشويهها من خـلال تلك التفسيرات التضليلية ، وهو في عمق تفكيره لا يستطيع إغفالها أو إبعادها هـي: الحقيقة الدينية العقدية الجوهرية في الصراع التاريخي المستمر بين الإيمان والكفر .

----

1 ـ الآية 84 من سورة المائـدة

العوامل السياسية الداخلية :

عرفت مصر في العصور الوسطى عددا من الدول الإسلامية المستقلة تعـاقبت علـى حكمها . أولها دولة الطولونيين ،ومن بعد دولة الإخشيديين ثم دولة الفاطميين وظلـت حال هذه الدول في مصر تجري في نظام متشابه من الحياة الهادئة ، يذهب حاكم ليحـل محله حاكم آخر ، وتدول دولة لتحل محلها دولة أخرى.

وظل الوضع كذلك حتى غار الصليبيون على الشرق العربي في أواخر القرن الحـادي عشر الميلادي ، وهو الأمر الذي أدى إلى حدوث تطورات في الأوضـاع الداخليـة بمصر ، أسفرت عن سقوط الخلافة الفاطمية وظهور الدولة الأيوبية سنة إحدى عشـر وخمسمائة للهجرة ، وقد اقترن وجودها بدور كبير قام به صلاح الدين الأيوبي الـذي ظل رمزا للشجاعة والعدل . 1

وبذلك وجد المسلمون في كنفه ما يخفف عنهم مما لحقهم من ذهاب الخلافة العباسيـة بعد غزو التتار .

وبعد وفاة صلاح الدين ، انقسم أبناء البيت الأيوبي على أنفسهم ، وعجزوا عن حفـظ كيانم من الأخطار التي كانت تحيط م ، من عدو يتربص م ،أو قريب منافس لهم .

عند ذلك اعتمدوا على المماليك للدفاع عن مصالحهم في الداخل والخارج ولم يلبـث أن ازداد نفوذ المماليك ، حتى أدى إلى سقوط الأيوبيين وقيام دولة المماليك .

----

1 ـ ابن الأثير / الكامل في التاريخ/ ج 12/ ص138 .

وكان ـ عندئذ ـ على المماليك أن يوطدوا دعائم حكمهم على الرغم من الظـروف القاسية التي كانت تحيط م من كل ناحية .

لكن الأمر لم يستقر لهم ، حيث كثرت الفتن والمؤامرات والدسائس ، ولم يكن يـ ـهدأ للسلطان بال وتستتب له الأمور حتى يتطاول أمير من الأمراء محاولا اغتصاب السـ لطـة . فيعمـد الحـاكم إلـى التخلـص منـه وضـم ممتلكاتـه إليـه

كانـت القـوة مـن ممـيزات ذلـك العصـر ، وبهـا يحصـل القـوي علـى منصـب الإمـارة أو السـلطة ، وذلـك لعـدم . احـترام المماليـك مبـدأ وراثـة الحكـم

ا النجـاح كـان مؤقتـاوإذا كـان بعـض السـلاطين قـد نجحـوا فـي توريـث أبنـائهم منصـب السـلطنة فـإن هـذ وغـير شـرعي فـي نظـر المماليـك فلـم يلبـث أحـد الأمـراء الأقويـاء مـن الإسـتلاء علـى الحكـم حـتى يعـزل . ذلـك الابـن

ولا يسـعنا هنـا إلا أن نـذكر أقـوى رجـال ذلـك العصـر وهـو السـلطان الظـاهر بيـبرس ومـع قوتـه فقـد ظهـر 1 . المقـريزي عليـه أمـراء كثـيرون فـي مصـر والشـام ، علـى مـا ذكـره ولكنـه نجـح فـي التغلـب علـى المصـاعب الـتي اعترضـت طريقـه وأرسـى قاعـد دولتـه بفعـل مـا أوتـي مـن . قـوة وحنكـة

ــ المقـريزي (766 - 845 هـ) هـو أحمـد بـن علـي بـن عبـد القـادر تقـي الـدين المقـريزي ، مـؤرخ الـديار 1 : المقـارزة (مـن حـارات بعلبـك فـي أيامـه) ومـن كتبـه المصـرية ، أصـله مـن بعلبـك ونسـبه إلـى حـارة المـواعظ والاعتبـار فـي ذكـر الخطـط والآثـار . طبـع بـدار أحيـاء العلـوم بلبنـان سـنة 1959 / ج 2/ ص 221 . موجـود بمكتبـت الجامعـة المركزيـة بالعاصـمة الجزائريـة تحـت رقـم: 89/8863

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المماليك كانت تقلقهم قضية في غايـة الحساسيـة تتمثل في شعورهم بوضاعة أصلهم ونظرة معارضيهم إليهم . إذ من المعروف أنم كانوا في بداية أمرهم أرقاء يباعون ويشترون ، وقد أحضرهم إلى الشام ومصر تجار الرقيـق مما جعلهم دائما عرضة للتجريح والحط من قيمتهم .

فأحسوا بمركب نقص يقض مضاجعهم ، حتى وصل الأمر إلى تعيـيرهم بأصلـ ـهم وأطلق الناس عليهم وصف العبيد ، ونتيجة لهذا الشعور من جانب المـ ـاليك ، ومـ ـا صاحب ذلك من إحساس العالم الإسلامي بفراغ كبير بعد سقوط الخلافة العباسـ ـية في بغداد على أيدي المغول . أصبحت فكرة إحياء الخلافة الإسلامية واردة بمصر ، بعـ ـد أن استحال ذلك ببغداد . 1

ويذكر المؤرخون محاولات عديدة قام ا حكام المسلمين في تلك الحقبة لإحياء الخلافـ ـة في بلدانم ، مما يساعدهم على تثبيت ملكهم وسلطانم بوصفهم حماةً للخلافة متمتعـ ـين بعطفها .
ولكن هذه المحاولات لم تنجح ولم تتحقق فضلا عن أن أحدها لم يتجه نحو التفكير في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة بالذات .

1 ـ أبو زهرة / ابن تيميه حياته وعصره / ط / دار الفكر العربي / ص 128 ـ 129 / بتصرف

واستطاع بيبرس وحده الوصول إلى تنفيذ هذه الفكرة ضامنا لنفسه ولسلطنته سنـ ـدا يعتمد عليه في تثبيت ملكه ، وهكذا وضع بيبرس قواعد السياسة التي اتبعها سـ ـلاطين

المماليك بمصر اتجاه الخلافة العباسية فأصبح الخليفة يفوض الأمور العامة إلى السـلطان ويكتب له عهداً بالسلطنة ، وأصبح الأخير يستأثر بشؤون الدولة ، في حـين يقتنـ ـع الخلفاء بالتسمية وإرضاء الحاكم . وقد عبر المقريزي عن ذلك الوضع حين قال عـ ـن خلافة الخلفاء العباسـ ـ ـ ـيين في مصر : (ليس فيها أمر ولا نهي وحسبه أن يقـ ـال له أمير المؤمنين) . 1

ومهما يكن من أمر هذه الخلافة فإن المماليك اعتبروها ضرورية لإضفاء الشرعية علـى ولايتهم وسائر تصرفاتهم دون أن ينقص ذلك شيئا من نفوذهم وحكمهم .

وقد تم لهم هذا على أيسر سبيل ، وفرح الناس باحتضان مصر للخلافـة والخلفـ ـاء الشرعيين .

وفكرة إحياء الخلافة العباسية تعود إلى الناصر يوسف الأيوبي - صاحب حلب ودمشق- عند مولد دولة المماليك-

††
††
††
††
††
††††††ث التي صحبت قيام المماليك لم تمكـن الناصر يوسف من تحقيق غرضه .

أبو زهرة / المرجع السابق / ص 30 بتصرف

كذلك فكر السلطان المظفر قطز في إحياء الخلافة العباسية . ومن ذلـك مـا ذكـره السيوطي (1) من أن قطز علـم وهو بدمشق عقب انتصاره على المغول في عـين جالوت ، علم بوصول أحد أمراء بني العباس ، فأمر بإرساله إلى مصر حتى يتخذ العـدة لإعادته إلى بغداد غير أن المنية وافتـه قبل ذلك .

وهكـذا تم لبيبرس وحده أمر تنصيب خليفة للعباسيـين في مصر دون غيره مـن سائر الحكام الذين حاولوا قبله ذلك.

وأما عن كيفية تنصيب الخليفة فيذكر المقريزي أن الأمير علاء الدين البندقدار نـائب السلطان بيبرس في دمشق ، كتب إليه يخبره بأن أحد بني العباس وهو الأمير أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بأمر الله عم الخليفة المستعصم الذي قتله التتـار ، وصـل إلى دمشق ومعه جماعة من عرب بني مهنا ، يشهدون على صحة نسبه وأنه يريد أن يلحـق بالسلطان الظاهر بيبرس بالقاهرة .وكان أن وجد السلطان فرصته في مجيء ذلك الأمـير فرد على نائبه يأمره بالقيام في خدمته وتعظيم حرمته . 2

----

1 ـ السيوطي (849 ـ 911 هـ) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، إمام حافظ ، ومؤرخ وأديب له نحو ستمائة مؤلف ، اعتزل الناس في الأربعين من عمره ، نشأ في القاهرة وتوفي ا .

من كتبه : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .

2 ـ د . محمد حسني الزين /منطق ابن تيمية / المكتب الإسلامي / بيروت / ط 1 / 1399هـ 1979 م / ص 20 بتصرف

مما سبق ذكره يتبين المستوى الذي بلغته الصراعات الداخلية بين الحكام والأمراء حـتى أصبح ديدنهم الوصول إلى الحكم والقضاء على الخصم مهما كـان نوعـه ومـهما كانت درجة قرابته .

بذلك سادت الفوضى وانتشرت الفتن وتوالت الاضطرابات ، لما أصبح السـلاطين يتربصون ببعضهم في انتزاع الإمارة وافتكاك الحكم ولم يعد يهمهم من أمر الرعية إلا ولاؤهم ، وهم في غفلة عما تعانيه الأمة من تعسف الأمراء ككثرة الضرائب وحجـز الأراضي الفلاحية بدعوى تمويل الجند في غزوهم للعدو .

ففي مثل هذا العصر المليء بالأزمات الداخلية منها والخارجية ، ولد الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ .

المبحث الثاني : العوامل الاجتماعية والثقافية :

العوامل الاجتماعية :

كان المجتمع - في ذلك العصر - بمصر والشام ، يموج بأجناس كثـيرة ومختلفـة في العادات والتقاليد والأخلاق ، وكذلك في فهم الحياة .

وامتزجت هذه الشعوب بعضها بالبعض في ظل الحرب وفي ظل السلام .
وكان لهذا المزج أثره في خلق حالة نفسية وفكرية لم يعهدها العالم الإسلامي من قبـل .
التقت في هذا العصر أقوام مختلفة ، أتراك ، ومصريون وشاميون ، وعراقيون وفـدوا إلى الشام ،خاصة بعد خراب بغداد. ثم الفرنجة والتتار والأرمن واليهود .

عاش هؤلاء على اختلاف في عاداتم وأخلاقهم وتقاليدهم ، فكان منهم مجتمع مـتردد متفسخ لا يعرف الإستقرار بل الاضطراب والفوضى والدسائس . ومن الطبيعـي أن يتألف مجتمع من هذا النحو من طبقات و مراتب تعلو بعضها فوق بعض .

بالإضافة إلى تفشي الإسترقاق والعبودية التي عاشت في ذلك العصر حتى غدا الأسـير مع عائلته يباع ويشترى كأي سلعة رخيصة .

وفي ذلك يقول المقريزي في خططه :
فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق ، وأسروا منهم وباعوهم ، تنقلوا في الأقطار ، واشترى الملك الصالح نجم الدين بن أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ، ومنهم من ملك ديار مصر وأولهم المعز بن أيبك .

ثم كانت (للملك المظفر قطز) معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت ، وهزم التتار وأسر منهم خلقاً كثيراً صاروا بمصر والشام . ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملأوا مصر والشام فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغول، وانتشرت عاداتم وطرائقهم .

أما ملوك مصر وأمراؤها وعساكرها فقد ملئت قلوبهم رعباً من جانكيزخان وبنيه وامتزج بلحمهم ودمهم ، مهابتهم وتعظيمهم .وكان التتار إنما ربوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن وأحكام الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد إلى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج وأناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في القضايا الشرعية كتداعي الزوجين ، وأرباب الديون ونحو ذلك . [1]

---

1 ـ أحمد بن علي المقريزي / خطط المقريزي
(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) .
/ج2 / ص 221

وبعد هذا يمكن القول بأن المجتمع كان فيه قوتان كبيرتان لهما نفوذهما :
الأولى طبقة الأمراء وعلى رأسهم السلطان ، وكان لها نصيب الأسد من النفوذ والجـاه والثانية هي طبقة العلماء والفقهاء وكبار رجال الدين .وأبرز هؤلاء الرجال كان عـز الدين بن عبد السلام ، ومحي الدين الندوي ، وابن تيمية وكان واحـد مـن هـؤلاء الفقهاء والعلماء لا يخاف في الله لومة لائم .
فملأت هيبتهم قلوب السلاطين والأمراء والناس ، بما عرفوا به من تمسـك بـالدين وكرامة العلم .
وكانت الطبقة الثالثة تشمل العامة من الشعب كالتجار والصناع والمـزراع وهـؤلاء عليهم الكد والجهد . ولا يصل أحدهم إلى ثمرة عمله لما كان يحل بهم من مظالم ترهـق كهولهم .
وكان العلماء والفقهاء ، ومنهم الشيخ ابن تيمية يعملون لرفع الحيف عن هذه الطبقـة المرهقة ويعطفون عليها ويبذلون الجهد لدى الطبقة الحاكمة لا بعاد الأذى والظلـم ورد الجور عن أبناء الشعب ، وتوجيه الحكام نحو الخير في الدين والدنيا .
وكان هؤلاء العلماء ورجال الدين بصفة خاصة ، يعيشون عيشة راضية بفضـل مـا يغدقه عليهم السلاطين و الأمراء من وظائف ذات مرتبات عالية ، رغبة في اسـتمالتهم وضماناً لرضاهم عنهم ، لأن أمر قيادة العامة في السخط والرضا يعود إليهم .1

1- د.محمد حسني الزين / المراجع السابق / ص 23- 24 بتصرف

وفي ذلك يذكر المؤرخ ابن كثير أنه في سنة 690 هـ . طلب إلى أحد القضاة التوجه إلى مصر لتوليه قضاء القضاة بدل تاج الدين ابن بنت الأعز الذي عزل من هذا المنصب .

ويقول عن ابن بنت الأعز :

(وكان بيده سبعة عشر منصباً ، منها القضاء والخطابة ، ونظر الأحباس ومشيخة الشيوخ ، ونظر الخزانة ، وتدارس الكبار) . 1

يتبين من هذا أن بعض رجال العلم والفقه كانوا يجمعون الوظائف الكبيرة ويعيشون الحياة الرغيدة ، ويقومون بخدمة السلاطين وتنفيذ غاياتهم ومآربهم والدعاء لهم . وكل ذلك بغية الحصول على مركز ممتاز لدى السلاطين يؤمن لهم الحياة الرفيعة .

وقد وصف السيوطي في شرح مسهب كيف كان العلماء يضرعون إلى السلطان الظاهر بيبرس ، ويقبلون الأرض بين يديه ، طالبين عونه وصدقته لإصلاح حالهم . وكل ذلك في خطب ورسائل توضح تزلفهم وتفانيهم وراء المنفعة والمناصب . 2

وإذا كان هذا حال بعض العلماء في ذلك العصر ، فإنه لا ينطبق على رجل كابن تيمية .ذلك العالم الذي صدق عليه القول ، إنه يقول كلمة الحق في وجه السلطان الجائر .

----

1 ـ ابن كثير / البداية والنهاية / ج13 / ص322 .

2 ـ السيوطي / حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة / ج2 / ص88 - 89 . بتصرف

والتاريخ يذكر لابن تيمية المواقف المشهورة المتعددة ومنها ما يذكره ابن كثير :
(أنه لما جاء التتار إلى الشام 699 هـ ، وهزموا جيش الناصر بن قلاوون وشتتوه وأصبحوا على أبواب دمشق , ذعر أهلها وفر كثير من أعيان العلماء إلى مصر كقاضي الشافعية إمام الدين ، وقاضي المالكية : الزواوي ، وغيرهم من كبار العلماء وكبار الرجال ، حتى صار البلد شاغراً من الحكام .
ولكن عالماً واحداً بقي مع العامة متخندقا ، فلم يفر ولم يخرج هو ابن تيميه ـ رحمه الله ـ) [1]
جمع ابن تيمية أعيان البلد واتفق معهم على ضبط الأمور ، والذهاب على رأس وفد منهم يخاطبون ملك التتار في الامتناع عن دخول دمشق . وكان ذلك الملك هو (قازان أو غازان). وقد وصفه القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله في ترجمته قال :
(جلس الشيخ ابن تيمية إلى السلطان غازان حيث تجم الأسود في أجامها ، خوفاً من ذلك السبع المغتال ، ومما خاطبه عن طريق الترجمان : قل للقازان أنك تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا . وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت . عاهدا فوفيا . وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت وجرت . ثم خرج بعد هذا القول من عنده معززا مكرماً) . [2]

ــــــــــــــــــــــــــــــ
1 ـ ابن كثير / البداية والنهاية / ج14 / ص 9 .
2 ـ د.محمد حسني الزين/ المرجع السابق/ص 25 .

يتجلى أمامنا هذا الموقف كبيراً ومشرفاً ، إذا عرفنا أن الاستبداد المطلق كان سمة ذلـك العصر ، يستبد فيه الحاكم الذي يصل إلى الحكم بقوته.

ويحول العرش من بعده إلى ورثته ان استطلاع لأن العيون تشخص إلى الملك وترقـب الفرصة السانحة للانقضاض عليه ، مهما كلف من تضحيات بما فيها من إراقة الدمـاء وخراب البلاد .

وكان تنازع السلاطين يختفي حيناً ويظهر أحياناً ، وكانت سلطتهم فوق سلطة الخليفـة نفسه .

بل كانوا ينظرون إليه على أنه سلطة دينية لا تتجاوز التولية ، أو التقليد الشـكلي . فإن آل إليهم الأمر فالحكم يكون بما يحكمون والدين لهم وبيدهم يحكمون في النـاس جميعاً ، ومنهم الخليفة نفسه ، فهم محكوم م رضي بذلك أم سخط . 1

---

1 ـ السيوطي / حسن المحاضرة / ج2 / ص86 . بتصرف

العوامل الثقـــــافية :

بعد هذه اللمحة عن الحياة الإجتماعية التي عاصرها ابن تيمية ، أتكلــم ولــو بصفــة موجزة عن الحياة الثقافية والفكرية ـ لتكتمل النظرة , وتتضح الصورة ـ بمختلــف جوانب الحياة التي عايشها ابن تيمية .

إن مظاهر النشاط الثقافي في ذلك العصر متعددة ، أهمها إحياء الخلافــة العباســية في مصر ، وتنظيم القضاة والعناية بإقامة المؤسسات الدينية وتعميرها ، وانتشار التصــوف وكان لإحياء الخلافة في مصر اثر بارز في ازدياد النشاط الديني في البلاد ، الأمر الــذي يعبر عنه السيوطي بقوله :

(اعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها ، وكثرت شعائر الإسلام فيــها وعلت فيها السنة ، وعفت منها البدعة ، وصارت محل سكن العلماء ، ومحط الرجــال الفضلاء) . 1

أما عن إصلاح شأن القضاء ، فإن المماليك كانوا أصحاب الفضــل في تغيــير نظــام القضاء في مصر . فبعد أن كان الوضع في مصر منذ زمن الأيوبين يكون فيه قـــاضي القضاة شافعيا, أصبح لكل مذهب من المذاهب السنية قاضياً .

والسبب في ذلك يعود إلى أن السلطان بيبرس استاء من تعنت قاضي القضاة الشــافعي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، وتوقفه في تنفيذ الأحكام وكثرت الشــكاوي منه بسبب ذلك .

_ _ _ _ _ _ _ _ _

1 ـ السيوطي/

تشدداً وتعنتاً في كثير من القضايا ، التفت الأمير إلى تاج الدين وقال له : (يا قـاضي .. مذهب الشافعي لك ، ونولي من كل مذهب قاضياً) . 1

ويبدوا أن هذه العبارة بقيت في ذهن بيبرس وأعجب ا كفكرة . فعين أربعـة قضـاة يمثلون المذاهب الأربعة . وأباح لهم أن يولوا نوابا عنهم في أنحاء البلاد وسائر الأعمـال المصرية .

ومع ذلك فإن قاضي القضاة الشافعي ظل محتفظا بمكانة ممتازة ومرموقة طـوال هـذا العصر .

وقد رتب خليل بن شاهين الظاهري(2) ، القضاة في ذلك العصر حسـب م لتـهم . فوضع الشافعي في المقدمة ، ويليه الحنفي ، ثم المالكي فالحنبلي .

----

1 ـ المقريزي/ المرجع السابق/ ص238 .

2 ـ خليل بن شاهين الظاهري (813 -873 هـ) المسمى : غرس الدين وقد عرف بابن شاهين .
وهو أمير من أمراء المماليك في مصر ، وقد كان من المولعين بالبحث .
وله تصانيف عديدة تبلغ ثلاثين مصنفا منها:زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .
وقد اعتنى بتصحيحه المستشرق بولس راويس طبع بالمطبعة الجمهورية بباريس سنة 1894/ ص 157 /
و هو موجود بمكتبة الجامعة المركزية بالعاصمة الجزائرية تحت رقم : 16 / 21

وثمة ظاهرة هامة ميزت النشاط الثقافي الديني في ذلك العصر هي اشتداد تيار التصوف .

ويبدوا أن الأخطار التي ألمت بالعالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ، خصوصا على أيدي التتار في المشرق . جعلت كثيراً من المتدينين يرغبون في التوبة الخالصة إلى الله و الزهد في الدنيا والعودة إلى سنة السلف الصالح للخلاص من الأوضاع السيئة التي بات فيها المسلمون.

ولعل اشتداد تيار التصوف وازدياد نفوذ رجاله كان من عوامل ضعف الحركة العلمية لأن التجديد والابتكار الفكري لم يكونا من ظواهر ذلك العصر بل كانت الظاهرة التي تسوده تتمثل في العكوف على ما وصل أهله من تراث العرب والمسلمين السابقين وهو تراث قيم بلا شك ، وكان عملهم فيه هو الانكباب عليه لفهمه والإفادة منه، ثم الزيادة عليه ما وسعهم الجهد ، دون خروج عن الروح الذي كان يسري فيه ، وهو التقيد بالأفكار والآراء التي وصلت إليهم عن الفقهاء والمتكلمين ونحوهم من رجال الدين .

وفي هذا يقول ابن خلدون :(... ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة ودرس المقلدون لمن سواهم ، وسد الناس باب الخلاف وطرقه .. وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء ... وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال مسندها بالرواية ...) . 1

---

1 ـ ابن خلدون / المقدمة / ج 2 / ط 2 /
دار الكتاب اللبناني بيروت 1961 / ص355 . بتصرف

وزاد التصوف قوة على قوته ، ما أثر عن الإمام الغزالي من إشادته بـه حـتى جعلـه الطريق الصحيح الموصل إلى الله تعالى ، وذلك في كتابيه المشهورين : إحيـاء علـوم الدين ، والمنقذ من الضلال ، هذان الكتابان اللذان كان لهما أثر كبير في ذلك العصـر وفيما جاء بعده من عصور حتى اليوم .

وأخيرا من ملامح هذا العصر الواضحة ما كان من عداء ملحوظ للفلسفة والمشتغلين ا تعلماً وتعليماً ، وكان السبب القوي لذلك حملة الغزالي عليها وعلى رجالها، حمـلات أصابتها في الصميم ودعت الفيلسوف ابن رشد للرد عنها وإنصافـها . وحسـبي أن نشير إلى حادثة قتل شهاب الدين السهرودي وهو في ريعان الصبا حتى صار معروفـاً في التاريخ بأنه (الشاب المقتول) . وقد كان كما يقول ابن أبي أصيبعة (أوحد في العلـوم الحكيمة ، بارعا في الأصول الفقهية ، مفرط الذكاء ، جيد الفطرة) . ولكن الفقـهاء شفعوا عليه ورموا بالتفلسف والإلحاد ، بعد أن كان ناظرهم في حلـب وأفحمـهم . فعملوا محاضر بكفره ، رفعوها إلى السلطان صلاح الدين بدمشق ، وطلبوا اسـتئصال الشر بقتله حتى لا ينفث إلحاده في كل بلد يحل فيه ، فكان لهم ما أرادوا وفعلاً قتـل بأمر السلطان وكان ذلك بحلب سنة 578 عن ست وثلاثين عاماً) . 1

هذا وقد كان لما أجملته من سمات هذا العصر أثر قوي في الشيخ ابن تيمية ، فقد كـان حرباً على الجامدين والمقلدين بغير علم من الفقهاء , وعلى المتصوفة والتصوف الـذي دخله الكثير من مقالات غير المسلمين وآرائهم . كما كان شديد الثورة على الفلسـفة ورجالها الذين اعتنقوا كثيراً من نظريات الفلاسفة اليونان وأمثالهم بغير برهان صحيح

ـــــــــــــــــــــــــــــ

1 ـ ابن أبي أصيبعة (596 - 630) هو احمد بن القاسم بن الخليفة بن يونس موفق الدين بن أبي أصيبعة طبيب ومؤرخ , ولد وأقام بدمشق ، صاحب كتاب : عيون الأنباء في طبقات الأطباء / مطبعة مصر /1321 هـ / ج2 / ص167 .

الفصل الثاني

(حياة ابن تيمية)

مولده ونشأته

المبحث الأول :

- مولده ,نشأتــــه.
- شيوخه , تلامذته .

المبحث الثاني :

- مواقفه.
- وفـــاته .
- مؤلفاته .

المبحث الأول :

مولـــــده :

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن أبي القاسم بن محمد بن تيميـة الحـراني الدمشقي، الحنبلي ، ولد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول سنة 661هـ بحرّان، وهـي بلدة تقع بين نهري الدجلة والفرات وهي إحدى المدن التركيـة الآن، وقـد كـانت معروفـة عبر تاريخها العريق كمهد للفلاسفة والصابئين . 1

ويسمى ابن تيمية بهذا الاسم لما ذكر عن جده محمد بأنه ذهب إلى الحج وكانت امرأتـه حاملا فلما كانت بتيماء – وهي قرية بقرب تابوك شمال غـرب الـسـعودية – رأى طفلة حسنة الطلعة خرجت من خباء فلما رجع وجد امرأته قد وضعت بنتاً فقال لـه ياتيمية تشبيها لها بالطفلة التي رآها بتيماء ، فلقب شيخ الإسلام باسم أمـه وقيـل إن جده محمد كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها ويـسـمى بالحراني نسبة إلى مدينة حرّان وهي المدينة التركية التي سبق ذكرها، وإن كانت هنـاك مدن أخرى تطلق عليها هذه التسمية كحرّان من قرى حلـب، وحـرّان الكـبرى والصغرى قريتان بالبحرين وحرّان بدمشق، وقد شاع اسم حـران وذاع في مختلـف الأنصار ولعل ذلك قصد التيامن بما حققته حران الأولى من سبق حضاري وما أنجبتـه من عظماء مشاهير من أمثال ابن تيمية – رحمه الله – . 2

----

1 , 2 – أنظر / ابن كثير (.... – 764 هـ) هو إسماعيل بن كثير القرشي ، حافظ ومؤرخ وفقيه توفي بدمشق ، له كتب كثيرة منها : كتاب البداية والنهاية في التاريخ / مطبعة السعادة في مصر / ج1 / – ص / 104 .

ويسمى بالدمشقي لأنه عاش في دمشق وتلقى العلم فيها وذاع صيته واشتهر أمـره في تلك المدينة العامرة بالعلم والعلماء ، ويسمى بالحنبلي نسبة للمذهب الـذي تـشبع بفقهه منذ نعومته وشب عليه حتى أصبح قدوة لمشايخه بعد أن اقتفى أثر الإمام أحمـد في إحياء تراث السلف .

نشـأته :

نشأ ابن تيميه في أسرة متدينة عرفت بالورع والتقى وحرصها على الـتزود بـالعلم والمعرفة فقد كان جده أبو البركات عبد السلام بن عبد الله ، فقيها محدثـا ومفـسـرا نحويا ولد سنة 590هـ كما كان والده الشيخ شهاب الدين بن عبد الحليم محدثا وفقيـها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكان يقوم بالتدريس بسـورة منتظمـة في الجـامع الأموي الذي كان مركزا لكبار العلماء والمدرسين ، كما ذكر ذلك ابن حجر.كمـا تولى مشيخة دار الحديث السكرية التي كان يسكن بها والتي تربى ابنه شيخ الإسـلام المعروف بابن تيمية في أحضانها وتوفي سنة 682 هـ وقد كان عمر ابنه تقـي الديـن يومذاك لم يتجاوز الواحد والعشرين عاما ، إلا أن أمه عاشت بعد ذلك فكانت معـه بقلبها ومشاعرها وعواطفها ، وقد كان يبعث إليها بالرسائل من سجنه ليطمئنها علـى حاله.وقد كان الشيخ بارا بأمه عطوفا عليها ومحسنا . 1

من هذه الأسرة العريقة في العلم انحدر شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ومنها ورث عوامل النبوغ والتفوق ، فاتجه منذ صغره اتجاه أسرته في البحث والشغف بعلوم الديـن والفقه حتى أصبحت القراءة ديدنه والمطالعة والتزود بالمعارف لديه أشبه بالطعـام والشراب .

---

1 ـ أنظر / ابن حجر / الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

ج/ 1 / ط 1 دار المعارف العثمانية سنة 1348 هـ / ص / 124

وقد ساعده على ذلك عدة عوامل كانت سببا في نبوغه منها :

ـ نشأته في أسرة تحب العلم فوالده كان عالما محدثا وفقيها حنبليا وكانت له حلقاته بالمسجد الأموي وكان له إشرافه وتوليه لمشيخة الحديث
بدار السكرية التي كانت أول المدارس العلمية التي فتح فيها ابن تيمية عينيه .

ـ كانت له قدرة فائقة على الحفظ والاستعاب فحفظ القرءان الكريم وهو حدث صغير كما تعلم الحساب والخط ثم تدرج في طلبه للعلم فبرع في التفسير وغاص في دقائقه ومعانيه ودرس الفقه والحديث دراسة مستفيضة وقد كان له ذلك كله وهو لم يبلغ سن العشرين عاما .

ـ استعداده الفطري : فقد كان صافي الذهن مشرق النفس متزن العقل وكان ذا بصر نافذ ونفس حرة لا تكاد تكل من البحث ولا تشبع من العلم ولا ترتوي من المطالعة ... حتى إنه لم ينقطع عن البحث والتأليف طيلة حياته سواء كان في البيت أو السجن .

ـ الجد والاجتهاد والانصراف إلى المفيد من العلم: فكان لا يلهو لهو الصبيان وكان مجاهدا في سبيل الله لا يكف عن محاربة البدع والنهي عن المنكرات بالقول والعمل . 1

---

1 ـ ابن عبد الهادي / العقود الذرية تق/ محمد حامد
مطبعة الحجازي / القاهرة 1938 / ص 3 . بتصرف

ـ **الاستقلال الفكري : وولوج باب الاجتهاد، فهو لم يلتزم بمذهب أو رأي من سـبقه على الرغم من تفقهه أول الأمر على المذهب الحنبلي، إلا أنه كان يفتي بما قام دليلـ ـه عند ه وقد أعلن أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ فلم يقل أحد : إن الحق منحصر في الأئمة الأربعة .**

ـ **فصاحته : فقد رزقه الله تعالى قدرة فائقة على البيان والتعبير، وكان خـطيبا بارعـا ويقظا متفتح العقل واسع الأفق حـاضر البديهة قوي الحافظة مستقيم الفكـر، كـل هذه الهبات والمنح الربانية التي أولى بها الله ابن تيمية في تكوينه وتركيبـه وانسـ ـجامه وانسجام ملكاته ، يسر له بسرعة الفهم والاستعاب .**

فكان صاحب حظ وافر من العبق الثقافي والعلمي والفكري . 1

----

1 ـ ابن عبد الهادي / المرجع السابق / ص 3 ـ 4 بتصرف

شيوخه :

تلقى ابن تيمية العلم أولا على والده فأخذ عنه الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل حتى درس وأفتى وصنف فيه، كما تلقى الحديث عن والده أيضا، وهكذا كان يسير ابن تيمية في دراسته تحت رعاية والده الذي ما انفك عن ملازمته وصحبته حتى انتقل الأب العطوف إلى جوار ربه، وقد ترك ابنه تقي الدين من بعده عالما جليلا .

كما ذكر المؤرخون الشيخ ابن تيمية سمع من شيوخ كثيرين يتجاوز عددهم المائتين منهم :

الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي الذي قال عنه ابن تيمية : لم تر الشام بعد الأوزاع مثل موفق الدين المقدسي . [1]

كما أخذ عن ابن أبي اليسر، والكمال بن عبد، وابن عساكر، والصيرفي وأحمد بن أبي الخير، وفخر الدين بن البخاري، والكمال بن عبد الرحيم وأبي القاسم ابن علان، وأحمد بن شيبان. كما تلقى العلم على نور الدين بن علي المالكي، وعن القاضي جمال الدين القزويني . [2]

---

1 ـ راجع / ابن عبد الهادي / المرجع السابق / ص 3

2 ـ راجع / ابن كثير / البداية و النهاية / ج 4/ ص 36 .

وقد كان لهؤلاء العلماء الأثر الطيب الذي رسم المعالم الكبرى لشخص ابن تيميـــة في حياته الحافلة بالكثير من الصعوبات والتضحيات الجسام بدأ من هجرته مع أســرته في السابع من عمره فرارا من المغول إلى أن توفاه الله بالقلعة سجينا محتسبا مجاهدا سنة 728هـ .

تلامذته :

لم يعرف العصر الذي عاش فيه ابن تيمية عالما كثر طلابه وتلاميذه كماكثر طــلاب وتلاميذ ابن تيمية ، ولعلى تنقله بين القاهرة ودمشق ، وما عرف بــه مــن جــرأة وشجاعة في مواجهة الكثير من القضايا الحاسمة المطروحة آنذاك منها مواجهــة الغــزو المغولي وظلم المماليك ، والخروج عن دائرة التقليد والتسليم بكل منقول ، فلعل هــذا كان سببا أساسيا في كثرة تلاميذه الذين كان منهم من ورثه في علمه وحمل المشعل مــن بعده نذكر منهم :

- الحافظ شمس الدين محمد ابن القيم الجوزية 691 ـ 751 هـ وهو من أشهر تلاميذه المباشرين له ومن الذين لازموه لمــدة ستة عشرة سنة (712 ـ 728) هـ ، كمــا سجن معه في قلعة دمشق ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ .

وقد كان ابن القيم الجوزية حافظا لعهد شيخه من بعده حيث واصل المســيرة علــى نجه قولا وعملا .

ـ الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي المتـوفى سنة 748 وصـاحب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) .

ـ الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير البصري 701 ـ774 هـ، وصاحب البدايـة والنهاية في التـاريخ و تفسير القـرءان العظيم

ـ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الهادي المقدسي صاحب كتاب (العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية).

وهناك الكثير من العلماء الذين سمعوا عنه أو تأثروا بمنهجه عبر تلك القـرون ولازال إلى اليوم يحتل مكانة كبيرة في تاريخ الفكر الإسلامي إلى درجـة أصـبح أي دارس أو باحث في الفكر الإسلامي لا يمكنه أن يتغافل أو يتخطى آراء هذا الإمام العالم المـجدد دون أن يكون له تأثير بها أو موقف منها .

المبحث الثاني :

مواقفه :

اتسعت آفاق دراسته حتى أنه درس كل ما عرف في عصره من نحل ومذاهب ، دراسة واسعة عميقة , تحدوه في ذلك رغبة حارّة في الوقوف على كنه هذه المذاهب وإدراك حقائقها ، فشهد له المؤرخون بأنه كان أمة وحده حتى انتقل إلى رحمة ربه .

لقد جاء ابن تيمية في عصر مأهول بالعلماء ، فبرز عليهم في كل علم واشتهر بغزارة المعرفة وسعة الإطلاع وشدة الذكاء وحصافة الرأي ، وقد جمع بين العلوم الشرعية والعقلية وكان على معرفة لا نظير لها بالملل والنحل وآراء المتكلمين على اختلاف فرقهم ، ومذاهب الفلاسفة على تباين آرائهم ، فضلا عن ثقافته الواسعة في علوم اللغة العربية وآدابها وبراعته في المناظرة وقوة الحجة ، لا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ولا تكلم في علم شرعي أو غيره إلا فاق فيه أهله . 1

---

1 ـ أنظر / ابن عبد الهادي المقدسي / العقود الذرية في مناقب ابن تيمية
ـ تق : محمد حامد / مطبعة الحجازي / القاهرة سنة 1938/ ص/ 23 .

وهكذا نرى أن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قد أحاط علما بتراث الفكر في عصـره ، وألم بأنواع الثقافة العقلية ، ثم أعمل في ذلك عقله الناقد وبصره النافذ وذهنه الحاد فكـان بذلك حقا موسوعة زمانه . أما الحديث الشريف فكان حاملا لرايته حافظا له مميزا بـين صحيحه وسقيمه ولهذا كان أهلا لتبوأ التّدريس فيه ، مكان أبيه و بعد وفاته وكـان ذلك ابتداء من يوم الاثنين ثاني محرم سنة 683هـ ، بدار الحديث السكرية التي كـان يتولى مشيختها أبوه ، وقد أشاد بعلمه من أخذوا عنه أو سمعوا منه وأطنبوا في شـكره وقد سارت الركبان بذكره في مختلف الأمصار ، وقد كانت دروسـه تجمـع المخـالف والموافق له ، فتعمل عملها في النفوس حتى تحول كثير من مخالفيه إلى مريدين ومعجبـين وصار له من بيـنهم مخلصون . قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد حين سئل عـن رأيه في ابن تيمية بعد أن اجتمع به قال : (رأيت رجلا جمع سائر العلوم بـين عينيـه يأخذ منها ما يشاء ويترك ما يشاء) 1.

وقد صار مقصدا للعلماء ، فيستهدي الجميع بفكره وقلبه وإخلاصه وبلاغ بيانه .

وقد قسم دروسه إلى قسمين :أحدهما للخاصة من الطلبة والعلماء الذين كان يذاكرهم ويذكرهم بالحقائق التي انتهى إلى تقريرها واستخلاصها وفق النظر العميـق والحجـة والدليل . والثاني من الدروس كان مخصصا لعامة الناس ، يعظهم فيه ويرشدهم إلى مـا فيه صلاح دنياهم ومفاز أخراهم ، مستعملا في ذلك أسلوبه الواضـح البـين الـذي يتناسب مع الفطرة التي يتقاسم الناس فيما بينهم الحد الأدنى منها بعيدا عـن الجـدل والتعقيد .

----

1 ـ ابن كثير / المـرجع السـابق / ص 137 .

لقد مر ابن تيميه بمحن كثيرة منذ نشأته إلى وفاته ، فقد هاجر مع أسـرته متخفيـا وفارا من بطش المغول وكان عمره يوم ذاك سبع سنين وكأن القدر أراد أن يحتفظ بـه وأن يصونه ليعود يوما سيفا مصلة في وجه التتار الذي أخرجه من بيته وقد كان آمنا .

ثم توالت محنه بعد أن شب فكان منها تلك المكائد التي دبرها له خصومه ممن يرفضـون التجديد وألزموا أنفسهم الجمود والتقليد ، منها تلك التي ادعاها عليه ابـن مخلـوف المالكي بأنه يقول : إن الله فوق العرش حقيقة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت فـسـأله القاضي جوابه عن هذا ... فقال له : ومن الحكم فيّ ؟ فقيل له : القاضي المالكي فقـال كيف تحكم فيّ وأنت خصمي ؟ فغضب القاضي وأمر بسجنه من 705 ـ 707 هـ بعـد أن مكث في السجن حوالي ثمانية عشرة شهرا .

أما المحنة الثانية فكانت بسبب مواجهة خصومه من المتصوفة الذين قالوا بوحدة الوجـود والذين خلطوا بين الاستغاثة والتوسل ، فانبرى ابن تيمية لتفنيد ادعاءاا م ولكشـف جهلهم في مسائل ادعوا العلم فيها ، ولما كان للصوفية آنذاك مكانم عند الحاكم .

خير ابن تيمية في الرجوع عن آرائه والاستسلام للإكراهـات الواقعيـة أو السـجن فاختار الثاني عن الأول ظنا منه أن سجن البدن أولى من سجن العقـل ، والحقيقـة أن ابن تيمية في هذه الحالة ـ كما أشار إلى ذلك بعض المحققين ـ قـد خانـه الدهـاء السياسي على الرغم من امتلاكه لقدراته .

أما المحنة الثالثة فكانت بسبب فتواه بعدم صحة الحلف بالطلاق حينما ، رأى النـاس يحلفون بالطلاق ، فتشرد بموجبه عائلة وتقطع بموجبه صلات وأرحام ، فكـان ذلـك مثار غضب الفقهاء الذين رفعوا ضده دعاوى للقاضي الذي أمر بسجنه في القلعـة وبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما . 1

أما المحنة الرابعة حينما عمد خصومه التقليديون إلى البحث عن رأي له يغضب العامـة والخاصة معاً ، فوجدوا مسألة شد الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين التي أصدرهـا ابن تيمية سنة 710هـ التي اعتمد فيها على حديث رسول الله
ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((لا تشد الرحال إلا لثلاث: المسجـد الحرام ، والمسـجد الأقصى ، ومسجدي هذا)) أو كما قال عليه السلام فيما رواه البخاري ومسلم

فبدلوا وغيروا ورفعوا دعواهم للقاضي الذي أمر بسجنه في القلعة يوم الاثنين السـادس عشر من شعبان سنة 726 هـ وبقي بها حتى وافته المنية في العشرين من شهر شوال سنة 728 هـ . 2

----

1 ، 2 ـ أنظر / د . محمد حربي / ابن تيميه وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره / دار عالم الكتب / ط 1 / 1407 هـ 1978 / ص 32ـ 37 .

وفـاته :

ومما سبق يتضح أن الشيخ قد تعرض لكثير من الآلام والمتـاعب في سـبيل دعوتــه و نتيجة لمواقفه ولكنه ظل صابرا ، قويا ، محتسبا ، لم يضعف أمام قسوة الحكام وظلــم الخصوم ، ولم يفوت فرصة إقامته حتى في السجن ، حيث استغلها أحســن اســتغلال ووفقه الله للعبادة وتلاوة القرآن ، وتدوين آرائه وتأليف كتبه ، كمـا أن رســائله لم تنقطع عن الناس فقد كانت تأتيه المسائل فيذكر فيها موقفه ، ويبدي فيها رأيه ، فيـذاع بين الناس ويتخذونه حجة عند خصومه ، مما زاد في حنقة أعدائه ليؤلبوا عليه الحــاكم فيجرده من كل وسيلة للتعبير عن رأيه حتى القلم والقرطاس .

ومع ذلك لم تنثن عزيمة الشيخ فظل مجاهدا متحديا ، لا يخشى في الله لومة لائم حــتى لقي ربه – على الذي عاهده عليه – وهو في سجنه بالقلعة يوم الاثنين السادس عشــر من شعبان سنة 728 هـ . 1

وقد تجلت مكانته المرموقة للصديق والعدو ، والحاكم والمحكوم من خــلال ذلــك الموكب الجنائزي الذي ودعته فيه جموع غفيرة من مختلف الفئـات ، رجـالا ونـسـاء فغصت بهم شوارع دمشق وشرفات المنازل ، وراح الجميع يترحم عليه ويثني علــى مواقفه التي أعزت الإسلام والمسلمين .

فرحم الله شيخنا ابن تيمية واسكنه فسيح جنانه .

----

1 – راجع /ابن كثير / المرجع السابق / ص120 – 121

مؤلفاته :

وهو و إن كان قد قضى نحبه وأفضى إلى ما قدم ، وانتقل إلى جوار ربه ، فإن التـ ـاريخ ما زال يحتفظ بذكراه من خلال تلك الجحافل من العلماء الذين تركهم مـن بعـ ـده يحملون مشعله ويمثلون مدرسته .

وكذلك من خلال تلك المؤلفات الجمة التي كتبها بيراعه الميمـون والـتي تجـ ـاوزت خمسمائة مؤلفا على ما ذكره المؤرخون .

ـ ونذكر منها في العقائد :

ـ كتاب الإيمان .

ـ كتاب الاستقامة .

ـ كتاب اقتضاء الصراط المستقيم .

ـ كتاب الفرقان .

ـ وشرح الاصبهانية .

أما رسائله فمنها :

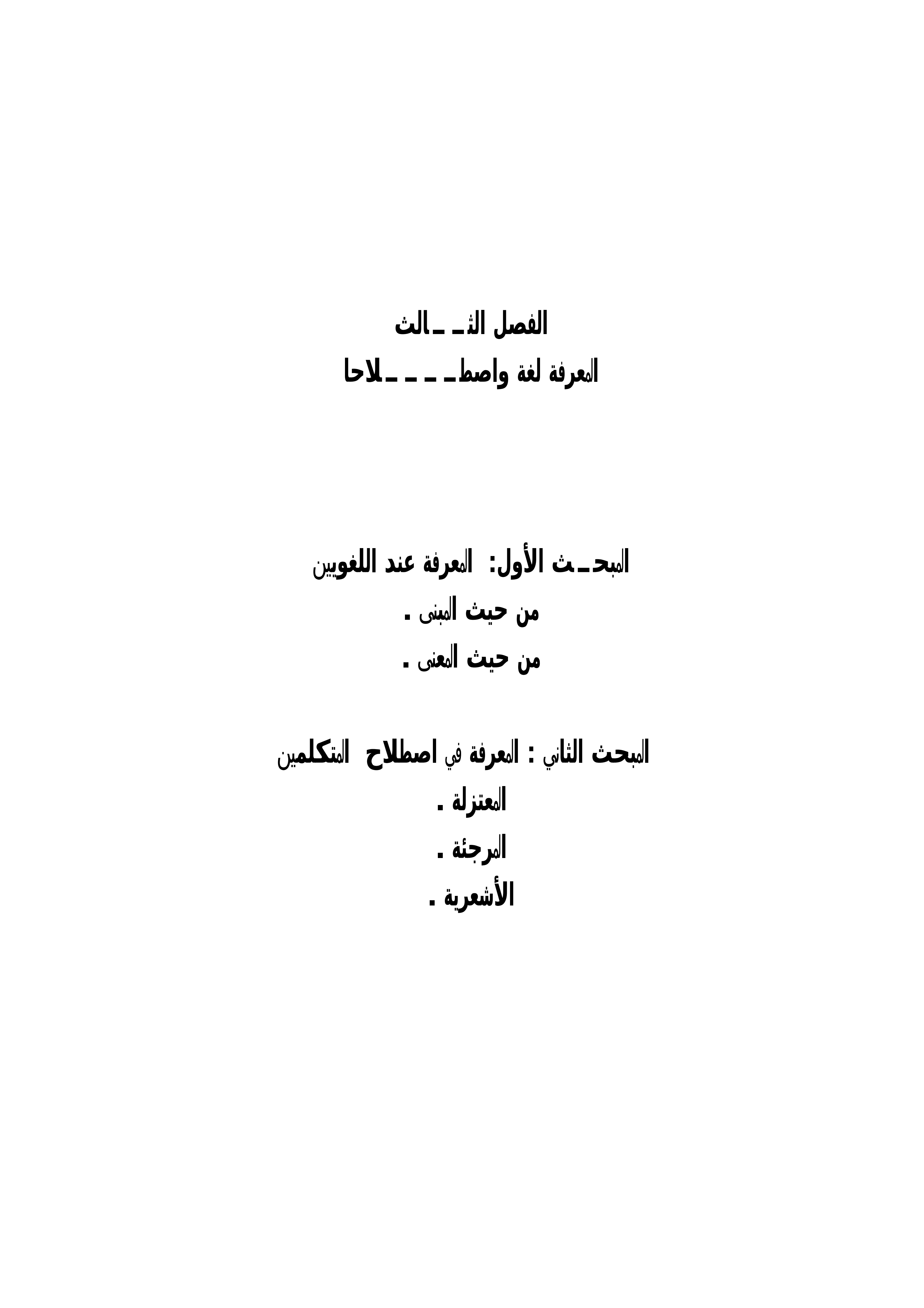
ـ الحموية .

ـ التدمرية والوسطية .

ـ والكيلانية .

ـ والبغدادية.ـ والأزهرية .

وغيرها كثير . وقد كتب في مختلف التخصصات الأخرى : كالتفسير ، والفقه . سأتحدث لاحقا عنها بشيء من التفصيل حسب ما يقتضيه مقام التعرض لها .



الفصل الثـــالث
المعرفة لغة واصطـــــــلاحا

المبحـــث الأول: المعرفة عند اللغويين
من حيث المبنى .
من حيث المعنى .

المبحث الثاني : المعرفة في اصطلاح المتكلمين
المعتزلة .
المرجئة .
الأشعرية .

المبحث الأول : المعرفة عند اللغويين

لقد خلق الله الخلق لعبادته ومعرفته . مصداقا لقوله تعالى : ((ومـا خلقـت الجـن والإنس إلا ليعبدون)) . 1

و استخلف الإنسان في الأرض ليعمرها ويشيع التعاون فيها مع بني جنسه . قال جـلّ جلاله : ((يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بـالحق ولا تتبـع الهوى ، فيضلك عن سبيل الله)). 2

وجعل تمام معرفته وكمال نعمه بواسطة رسله الذين اختارهم من خلقه واصطفاهم مـن عباده وأوكل إليهم مهمة تبليغ وحيه وتعليـم شرعه فقال سبحانه وتعالى : ((ولقـد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) . 3
وقال أيضاً : ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)) . 4

فيحصل من ذلك البيان التفـاهم بينهم ويتم التعارف والتعايش ويسود السلـم ويعـم الأمن ، لهذا قال تعـالى :
((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعـارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،إن الله عليم خبير)) . 5

----

1 ـ الآية 56 من سورة الذريات .
2 ـ الآية 25 من سورة ص .
3 ـ الآية 36 من سورة النحل .
4 ـ الآية 05 من سورة إبراهيم .
5 ـ الآية 13 من سورة الحجرات .

فباللغة توصل الوشائج وتلتحم الروابط وينشأ التعاون ، وينتشـر العمـران وتبنى الحضارات ، وينموا تواصلها ويتنوع الإبداع وليد ذلك الفهم والتفاهم .

وعليه فاللغة وسيلة أساسية لربط الصلة بين الخالق والمخلوق ولفهم المراد من التشـريع والقيام بواجب التكليف .

جاء في مقدمة تحقيق الدكتور عبد الحميد لشرح ألفية ابـن مالك قوله :(فبـدون اللغة التي هي إلهام من الله عز وجل ، وتعليم منه ، لن تجد الإنسانية كمالها ولـن تبلـغ رشدهـا) . 1

ذلك لأن اللغة في الحقيقة تكاد تمر بنفس الأطوار التي تمر بها الطفولة حتى تبلغ رشـدها وهي سنة ماضية في الألسن البشرية ، لا يستثنى منها إلا اللغة العربية بعد تمامها ونـزول الوحي بها .

فهي لغة القرءان ، معصومة بعصمته ، ومحفوظة بحفظه ، لقوله تعالى : ((إنا نحن نزلنـا الذكر وإنا له لحافظون)) . 2

----

1 ـ ابن مالك لابن الناظم /تق: د .عبد الحميد / شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم / دار الجيل بيروت /ط/1419هـ/1998/ص5 ـ 9/

2 ـ الآية 09 من سورة الحجر

لقد اختار الله هذه اللغة من ولد سام خلقا ، وميزه بذكاء القلب ودربة اللسان وسلامة الذوق ، وهيأ لهذا الخلق في أزمان سحيقة من عوامل الإقتداء والأسوة به ما هيأ، وذلك حتى تتسع اللغة وتتسم بالثراء ، بكثرة الوضع لتنوع الواضعين ، كما قيض لهذا الخلق من الرضى بشظف العيش ، وخشونة المطعم والملبس ، وجفاف المحل ما جعلهم يتعلقون بالمكان ويحفظون اللغة من الخلق.

ولكنهم على أي حال قد هدوا إلى الطيب من القول والحلو من النطق ، ثم شاءت حكمة الله أن يتم تقارب بعد طول تباعد ويأتي التلاقي على مستوى الأسواق ، وعبر الحل والترحال في الأرض ابتغاء ما عند الله من الرزق .
فأدى ذلك التقارب إلى تصارع اللهجات ، وتبادل الكلمات ، وحدوث مزج وخلط وغربلة واختيار .

ولم تشأ هذه اللغة إلا أن تساير ألسن المألوف ولا أن تخالف طبائع الأشياء ، بل جرى أمرها على الإلف والعادة ، فترك التنافر واستخدم ما خف على السمع وعذب في النطق.
كما أخذت من اللغات المجاورة ما اقتضته طبيعة تبادل المنافع ، ومما اعز مسماه في أرضها ولكنها طبعته بطابعها ، وأخضعته لذوقها حتى صار لها ملكا كلغتها الأصيلة ومنطقها الثابت . 1

----
1 ـ أنظر / ابن مالك / المرجع السابق / ص 5 ـ 9

كل هذا قد تم ليهيأ اللغة العربية ، ليتنزل بها الذكر الحكيم ، فيتسامى بــه فكــرا ونطقا وهدفا ، وترتقي به فتكتسب ضروبا من البيان ، وأفانين من الحكمــة في شــتى ألوان الحياة . 1

ثم يأتي دور السنة النبوية الشريفة ، فترتقي اللغة صعدا في مدارج الكمال ، ويكتب لهــا من الرفعة ، والسمو ، والخلود مالا تضاهيها به لغة في العالمين .

ثم إن عموم الرسالة المحمدية وعالميتها تجعلها تفسح المجال لكــل راغــب في الإيمــان مستظل بوارف الإسلام ، فأقبل الناس يدخلون في دين الناس أفواجا ، ولم يستطع غــير العربي النطق بها قبل حصول الدربة فلم تسلم لغته من لكنة أعجمية لأن العربيــة لم تكن له لهجة وسليقة كالعربي الأصيل ، فطرأ على اللغة أمر ليس في لسان أهلها ، وهــو اللحن . 2

وقد أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بإرشاد من ضل ، وكان ذلك إذنا منــه – عليه السلام – بوضع القواعد والضوابط حتى تسلم لغة الكتاب والسنة ، اللذيــن هما قوام الحياة وعصمة أمرها .

----

1 ، 2 – راجع / ابن مالك / المرجع السابق / ص 8 – 9 /

فبدأ النحو طفلا حظي بعناية العلماء ورعايتهم له ، حتى شب وصار قويا فتيا، وقـد تعاونت الجهود الموفقة حتى صار شامخا عاليا ، فكونت له مدارس برعاية علماء عظمـاء في كل من البصرة ، والكوفـة ، والأندلس ، وبغداد ، وكذا مصر والشام . ومـن أبرز هؤلاء العلماء الذين تكامل البناء وارتفع الصرح على أيديهم ، نذكر منـهم : ابـن إسحاق ، ابن عمرو ، وابن سلام وابن مالك ، سبويه ، والخليل بن أحمد ، وغـيرهم كثير . 1

لذلك جئت بهذا المدخل ، كتوطئة لبيان مفهوم المعرفة عند اللغويين ، وما مرت به مـن مراحل أثمرت مبنىً سليماً ، مضبوطا وموزونا ، كي يحصل المدلول ، ويفهم المقـصـود من الكلم .

مفهوم المعرفة عند اللغويين :

ينقسم مفهوم المعرفة عند اللغويين إلى قسمين : يتعلقان بشكل ومضمون الكلمـة ، أي بمبناها ، ومدلولها اللغوي

ما يتعلق بمبنى كلمة المعرفة .

وأعني بها ما وضعه النحاة والقراء من ضوابط تعرف بها أقيسة و أوزان الكلمة ومخـارج حروفها .

----

1 ـ راجع / ابن مالك / الرجع السابق / ص 6 ـ 10

فالمعرفة من هذه الناحية منحصرة ـ بالاستقراء ـ في سبعة أقسام هي :
المضمرات ، العلم ، أسماء الإشارة أسماء الموصول ، المعرف (بال) العهدية أو الجنسية المضاف للمعرف ، النداء .

وهي ـ أي كلمة المعرفة ـ مشتقة من فعل ثلاثي مجرد أو مزيد مثل :
عرف ، اعترف معرفة . وما سوى ذلك فهي نكرات تفيد التعميم .

ما يتعلق بالمدلول اللغوي لها :
كلمة المعرفة مهما تنوعت صيغها الصرفية ـ اسمية كانت أو فعلية ـ ومهما تعددت معانيها واختلفت باختلاف وضعها في التراكيب والأساليب فإنا تلتقي على كثرتها في التعبير عن المراد وفهم المقصود من الكلم

ـ جاء في تفسير ابن كثير. لقوله تعالى: ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)) . 1
فقال : (لتعارفوا) كما يقال فلان ابن فلان من كذا . 2
أي المراد منها معرفة ونسب الشعوب والقبائل ، وهذا لا ينافي مقياس التفاضل عند الله ، وهو التقوى .

----

1 ـ الآية 13 من سورة الحجرات .
2 ـ ابن كثير / تفسير القرءان العظيم / دار إحياء التراث العربي ـ ج4 / ، ط 1 / 1985 ص/ 350.

ـ ذكر ابن منظور صاحب لسان العرب جملة من المعاني اللغوية لكلمة المعرفة أذكـر منها ما يلي :

ـ تأتي بمعنى الوصف كما في حديث اللقطة : ((فإن جاء من يعترفها ...)) أي معرفتـه إياها بصفتها ، وإن لم يراها . 1

ـ وحديث ابن مسعود :

((... فيقال لهم هل تعرفون ربكم ؟ فيقولون إذا اعترف لنا عرفناه)) . أي إذا وصـف لنا نفسه بصفة نحققه با عرفناه . 2

ـ تأتي بمعنى التأمل ، قال سبويه :

وقالوا تعرفها المنازل من منى   وما كل من وافى منى أنا عارف

أي أنه تأمل منازل الجموع بمنى وأمعن النظر فيها .

ـ تأتي بمعنى السؤال والاستفهام .

قال الشاعر بشر بن أبي حازم :

أسـ ـائلة عميرة عن أبيـها   خلال الجيش تعترف الركـ ـ ـاب

أي أنا تسأل الركاب عـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن خبر أبيها .

ـــــــــــــــــــ

1 ـ ابن منظور /لسان العرب/دار إحياء التراث العربي / ط/ 9ج /ح ف/ ص 237

2 ـ ابن المنظور / المرجع السابق / ص238 .

ـ تأتي بمعنى استطلاع الخبر .
قال الشاعر طريف بن مالك العنبري :

أو كلما وردت عكاظ قبيلـة بعثوا إلي عريفهم يتوسـ ـم

أي أنه كان يستطلع الخبر ويتقصاه من الوافدين على سوق عكاظ .

ـ تأتي بمعنى طاعة الله وامتثال أمره واجتناب نهيه :
جاء في الحديث : ((.....تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)) .
أي اجعله يعرفك بطاعته والعمل فيما أولاك من نعمته , فانه يجازيك عند الشـدة والحاجة إليه في الدنيا والآخرة .

ـ وقوله تعالى: (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت بـه وأظـهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض) . 1

وقرأ عرف بعضه بالتخفيف . قال الفراء : من قرأ عرف بالتشديد فمعناه انه عـ ـرف حفصة بعض الحديث وترك بعضا .

ـــــــــــــــــــــ
1 ـ الآية 03 / من سورة التحريم .

ومن قرأ بالتخفيف أراد غضب من ذلك وجازى عليه ، كما تقول للرجل يسئ إليـك: والله لأعرفن لك ذلك قال : وقد جازى حفصة بطلاقها .

قال الفراء : وهو وجه حسن قرأ بذلك أبو عبد الرحمان السلمي .
قال الأزهري : وقرأ الكسائي والأعمش عن أبي بكر عن عاصم :
عرف بعضه بالتخفيف .وقرأ حمزة ونافع وابن كثير وأبو عمرو اليحـصـبي :عــرف بعضه بالتشديد.وفي حديث عوف بن مالك ((...لتردنه أو لأعر فنكها رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ))
أي لأجازينك بها حتى تعرف سوء صنيعك ، وهي كلمة تقال عند التهديد والوعيد .
وعليه يستفاد مما جاء في الآية الكريمة والحديث الشريف أن لكلمة المعرفة معنيان :
ـ إذا قرئت مشددة , أفادت الإخبار ببعض الحديث دون البعض .
ـ أما إذا قرئت مخففة فإنها تفيد الغضب والتهديد والوعيد .
ـ عرف ، يعرف ، عراف ، معرفة : أي الطبيب لمعرفته بعلمه .
قال الشاعر عروة بن حزام :

فقلت لعراف اليمامــة داوني   فانك إن أبـرأتني لطبيب .1

----
1 ـ أنظر / ابن مالك / المرجع السابق / ص 7 ـ 8

ـ تأتى بمعنى العلم : قال ابن سيده : عرف ، العرفان ، بمعنى العلم ويتفاضلا ن عنـ ـد تحديد العلم والمعرفة . 1

وفي الحديث ((العرافة حق ، والعرفاء في النار)) .

قال ابن الأثير العرفاء : جمع عريف وهو القيم بأمور القبيلة ، أو الجماعة من النـ ـاس يلي أمورهم ويتعرف ،ويتعرف الأمير منه على أحوالهم .

فصيغة فعيل هنا (عريف) بمعنى فاعل (عارف) ، والعرافة عمله .

فقوله العرافة حق : أي فيها مصلحة للناس ورفق بم في أمورهم وأحوالهـم . وقولـه العرفاء في النار: تحذير من التعرض للرياسـة لما في ذلك من الفتنة ، فانـه إذا لم يقـم بحقه أثم واستحق العقوبة ، ومنه حديث طاووس : سأل ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ما معنى قول الناس : أهل القرآن عر فاء الجنة فقال : رؤساء أهل الجنة .

ـــــــــــــــــــــــــــــــ

1 ـ يشير إلى مميزات العلم عن المعرفة ، وكو نه أشمل فكل علم معرفة ، وليست كل معرفة علما .

قال الشاعر :

بل كل حي وإن عزوا و إن كرموا   عريفهم بأثافي الشر مرجوم

أي أن رؤساء القوم مهما بذلوا من جهد , و مهما نالوا من حظوة عند مرؤوسيـ ـهم فإنك تجد من يتهمهم و يرميهم لأن رضى الناس غاية لا تدرك .

ـ عرف ، يعرف ، معرفة , عرفانا : علم الشيء و أدركه , ومنه عـرف صديقـه مـن عدوه . عرف حق المعرفة : أدركه من دون شك .

ـ عرف الإسم : استخدمه للدلالة على معين :كأن يدخل عليه (أل) أو يضيفـه إلى معرفة . تعارف على الأمر : أصبح متفق عليه بينهم في السلوك و العادات و المعاملات التعريف بالشيء : إعطاء معلومات عليه .

ـ عرفان , مص , عرف : الاعتراف بالجميل و شكر صانعه .

ـ معرفة , مص , عرف : معرفة مباشرة تنتفي فيها الواسطة بيـن الذات العارفـة والموضوع المعروف . 1

ـ معروف : كل فعل حسن ضد المنكر .

قال تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر)). 2

ـــــــــــــــــــــ

1 ـ المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم / المعجم العربي / توزيع لاروس / ط 1989 / ص 834 .

2 ـ الآية 110 / من سورة آل عمران

ذكر الأب سامي الخوري في معجمه , المعاني التاية لكلمة المعرفة :

ـ عرف , يعرف , عرفانا , معرفة : أدرك الشيء على ما هو عليه .

ـ العرفان : المعترف بالشيء و الدال عليه .

ـ عرف الأمر : أعلمه إياه .

ـ تعرف على الشيء : تطلبه حتى عرفه .

ـ تعرف بالشيء : دل عليه ووصفه وصفا يعلم أنه صاحبه .

ـ العرف : ضد المنكر ،وهو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقتـه الطباع السليمة بالقبول . [1]

فهذه جملة من المعاني لكلمة المعرفة ، تعددت صيغها ومشـتقاتا ، لكنـها التقـت في الدلالة على المقصود ، وهو الوصول إلى كنه الشيء المعرف وحصوله في الذهن

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

1 ـ راجع / سامي الخوري / المعجم العربي
/ المطبعة الكاثوليكية / بيروت / ط17 / ص500

المبحث الثاني :

المعرفة في اصطلاح المتكلمين .

قبل التطرق إلى مصطلح المعرفة عند المتكلمين ، أرى من الضروري التعرض إلى مفهـوم علم الكلام والمتكلمين ولو بإيجاز غير مخل. فأقول :

هو علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته ،وعن النبوات في دائرة الشرع فهو يعتمـــد على النظر العقلي في أمر العقائد الدينية وذلك بإثباتها بالبراهين العقلية ، كما أنه يدافـع عنها ويزيل الشبهة عن العقائد الإسلامية بالكتاب والسنة .

فهي ثابت بالشرع ، ويفهمها العقل منه ، ويتلمس لها بعد ذالـك البراهين النظريـــة فالبحث في الكلام إنما يكون وفق قواعد الشرع .

أما الفلسفة فالبحث فيها على أحوال الوجود المطلق وعن علل الكائنات على مقتضـى العقول من غير ربط بشرع أو غيره .

فموقف علماء الكلام أصوب على الرغم من النقد الموجه إليهم ،لأنم لا يؤســسـون العقيد على العقل مثل الفلاسفة ،ولكنهم يعتمدون على دعم النقل بالعقل ، ويقدمـون العقل على النقل إذا بدى لهم تعا رض ، ويؤولون النص حتى ينسجم مع ما توصل إليـه العقل من نتائج. 1

---

1 ـ هذه حوصلة لجملة من المعاني التي توضح مفهوم علم الكلام
و أسلوب المتكلمين , و منهجهم في التعامل مع النصوص .
و عليه للمزيد من البيان يمكن الرجوع إلى ابن خلدون / المرجع السابق / ص 21 ـ 34

قال ابن خلدون في مقدمته : بأنه علم يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلـــة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين عن الاعتقاد من مذهب السلف و عقائد أهـــل السنة. 1

ويرى الفارابي : بأن علم الكلام صناعة يقتدر بها الإنسان على نـصرة الآراء والأفعـال المحددة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها من أقاويل. 2

وجملة القول أن المتكلمين متفقون على أن علم الكلام يعتمد على النظر العقلي في أمــر العقائد الدينية ، ثم هم يختلفون في أن الكلام يبحث في العقائد بالبراهين العقلية ، كمــا يدافع عنها أم هو إنما يدفع الشبه عن العقائد الإيمانية الثابتة بالكتاب والسنة ، وهــذا الخلاف يرجع إلى الخلاف في أن العقائد الإيمانية ثابتة بالشرع ،وإنما يفهمها العقل عــن الشرع ويلتمس بعد ذلك البراهين النظرية ، أو هي ثابتة بالعقل علــى معــنى أن النصوص الدينية قررت العقائد بأدلتها العقلية .

وقد أشار إلى ذلك فخر الرازي المتوفى 606هـ ، عند تفسيره للآيتين (19 , 20) مــن سورة البقرة حيث قال : أن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية وأما البواقي ففي بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين .

----

1 ـ عبد الرحمان بين خلدون / المقدمة / المجلد الأول / الطبعة الثانية/ بيروت 1961 / ص821 .

2 ـ راجع / محمد حسين الزين / المرجع السابق / ص 274 ـ 294

وبعد أن ذكر معاقد الدلائل في القرآن الكريم ، مما يدل على وجود الصانع وعلى صفاته وعلى النبوات والمعاد قال: (وأنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه إلا تقدير هذه الدلائل والذب عنها ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها) . 1

وقال بعد ذلك :(.. أما محمد – صلى الله عليه وسلم – فاشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من أن يحتاج فيه إلى التطويل . 2

لذلك كان لعلماء المسلمين دور عظيم في الدفاع عن العقيدة والذب عنها ،وقد كان ذلك لما رأى المسلمون العرب الهجوم على الإسلام من التيارات المختلفة والسموم التي دخلت بسبب انتشار تلك الفرق ، من مزدكية وزرادشية ومختلف الزنادقة والملاحدة من يهود ونصارى .3

عند ذلك هب علماء الكلام وعلى رأسهم أهل السنة والجماعة ، بانتداب أنفسهم للدفاع عن العقيدة الصافية والمنهل العذب الذي تلقوه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأخذوها خالصة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، من غير أن تختلط بشهوات النفوس ورغبات العقول وأهواء الملل والنحل المختلفة وسموم الأمم الغابرة .

----

1 – د محمد حسني الزين / المرجع السابق / ص 207 .

2 – د . حسني الزين / المرجع السابق / ص 208 بتصرف

3 – أنظر / الشهر ستاني / المرجع السابق / ص 75

فكان في النصف الثاني :

ـ من القرن الأول : الحسن بن الحسن البصري وأتبــــاعه .

ـ وفي القرن الثاني : أبو حنيفة وأتباعــــه .

ـ وفي القرن الثالث : وأوائل الرابع : الطحاوي ،وأبو منصور الماتريدي والإمام أبــو الحسن الاشعري (ت 324هـ) الذي نصر مذهب أهل السنة من الفقهاء والمحدثــين بالبراهين العقلية ، فزلزل سلطان المعتزلة ، والروافض والقرامطة وغــيرهم ، وأطلــق عليه إمام أهل السنة ، وانتشر مذهبه من بعده على يد أتباعه الذين أقاموا العقيدة علــى العقل ، وردوا المخالفين فكان :

ـ في القرن الرابع : الباقلاني (ت 403 هـ) وأبو إسحاق الاسفرايني.

ـ وفي القرن الخامس : إمام الحرمين الجو يني (ت 478 هـ) وأبو حامد الغزالي .

ـ وفي القرن السادس : الفخر الرازي ،والآمدي .

ـ وفي القرن السابع : البيضاوي ، و الايجي .

ـ وفي القرن الثامن : سعد الدين التفتزاني ،والسيد الجرجاني ، ثم من بعدهم علمــاء الأتراك مثل الخيالي ، والسيلكوني ، وغيرهم كثير من العلماء الجهابذة الذين صنفــوا مئات المؤلفات و جادلوا دفاعا عن أهل الحق ونصرة الدين . 1

----

1 ـ الشهرستاني / الملل والنحل / تق : محمد عبد القادر الفاضلي /

ط1 / المطبعة العصرية / بيروت / 1423 ـ 2000 م / ص76 ـ 79

لذلك فالمقام لا يتسع لذكر مختلف آرائهم ومواقفهم ، وإنما أكتفـي في بحثـي هـذا بالتعرض لبعض آراء الفرق الكلامية ، التي لها صلة مباشرة بالموضوع ، وأذكر منها:

ـ المعـتـزلة .

باعتباره أدخلت في الإيمان مختلف الإعمال وهي على خلاف المرجئة .

ـ المرجئـة .

باعتبارها جعلت الإيمان مجرد معرفة بالقلب ، ولا دخل للأعمال فيه . فهي بهـذا في تقابل مع المعتزلة .

ـ الأشعريـة .

باعتبارها جمعت بين الأ مرين ،عرفت الإيمان ، بأنه تصديق بالجنان ، ونطق باللسـان ، وعمل بالأركان ، فكانت بذلك تمثل الوسطية والاعتدال بين الفريقين . وقد اخـترت هذا المنهج حتى يتيسر لي إدراك منهج ابن تيمية ومفهومه للمعرفة العقدية ، وموقعـه بين هذه الفرق الكلامية .

مفهوم المعرفة عند المعتزلة :

المعرفة عند المعتزلة : تعني الإيمان الكامل الذي هو التصديق ، والاعتقاد القلـبي ، وأداء الواجبات ، فمن صدق بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، من غير أن يـؤدي الأعمال الواجبة ، لم يكن مؤمنا .

فالإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، وأن كل فرض أو نفـل إيمان ، وكلما زاد الإنسان خيرا ازداد إيماناً ، وكلما عصى نقص إيمانه .

واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها قوله عز وجل ((وما كان الله ليضيع إيمـانكم)) 1 أي صلاتكم إلى بيت المقدس .

لأن الآية نزلت بعد تحويل القبلة ، وقد توهم بعض الناس أن الصلاة التي صلّوهـا إلى بيت المقدس ، قد ضاعت ، فسمى الصلاة إيماناً ، وهي عمل .ومن ذلك مـا ورد في الحديث مثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) . وقوله : (لا إيمان لمـن لا أمانة له)

فهم من خلال هذه الأدلة التي استدلوا بها ، يقررون أمرين أساسيين وفق معتقدهـم ومفهوم المعرفة عندهم .

الأول : إطلاق لفظ الإيمان على الصلاة ، ومنها على جميع الأفعال .

الثاني : ينفون الإيمان عن مرتكب المعاصي .

غير أن المعاصي عندهم تنقسم إلى قسمين : صغائر ، وكبائر .

فالصغائر عندهم ما لم يأت فيها وعيد ، والكبائر ما أتى فيها وعيد ، ثم قالوا أن الكبـائر بعضها يصل إلى الكفر ، ويستوجب الخلود في النار ، فمن شبه الله بخلقه ، أو جـوره في حكـمه ، أو كذّبه في خبره ، فقد كفر . وما عداها يعتبر صاحبها فاسقا وهو في منزلـة بين المنزلتين . 2

----

1 ـ الآية 143/ من سورة البقرة

2 – ابن حزم /ج 3/ ص188.

المعرفة عند المعتزلة :

أما الجاحظ ، وهو من علماء المعتزلة ، فله رأي بالغ الأهمية في مفـهوم المعرفـ ـة ، إلى درجة أنه دفع الكثير من المعتزلة إلى البحث والتقصي في طبيعة المعرفة .

قال الشهرستاني : قال الجاحظ : إن المعارف كلها ضرورية طباع ، وليس شيء مـ ـن ذلك ، من أفعال العباد ، وليس للعباد كسب سوى الإرادة ، ويحصل أفعاله طباعا. 1

وهذه المسألة جرى فيها الخلاف بين علماء الكلام في عصر الجاحظ وبعده .

هل المعارف ضرورية أم نظرية ؟ ويعنون بالضرورية أنا تحصل بلا اكتساب ، وبلا نظـر وبأنا نظرية تحصل بالاكتساب والنظر .

فكان فخر الرازي يرى كالجاحظ أنا ضرورية ، وكان إمام الحرمين و الغزالي يريـ ـان أنا نظرية . ويرى غيرهم أن بعضها نظري ، وبعضها ضروري .

----

1 ـ الشهرستاني / المـلل والنحل / تق: محمد عبد القادر الفاضلي / المكتبة العصرية / بيروت / ط1 / 1420 ـ 2000 م / ص 52 .

وفي ضوء هذا يمكننا تفسير رأي الجاحظ - وقد جر المعتزلة إلى البحث في هذا الموضوع مسألتان :

1 - هل الإنسان يخلق أفعال نفسه أو يخلقها الله فيه ؟ .

2 - والأفعال المتولد عن الفعل ، هل تنسب إلى الفاعل أو لا تنسب إليه ؟ .

مثال ذلك : رمى بحجر في الماء فتولدت منه دائرة ، ودائرة ، ودائرة هل تنسب إليه ؟ وإذا أشعل عودا فأحرق البيت ، وتولد عن الإحراق موت أشخاص وتولد من الموت أحداث ، هل تنسب إلى من أشعل العود .

- فكان ثمامة بن الأشرس ، وهو من علماء المعتزلة يرى أن الأفعال المتولدة ، لا فاعل لها . فقد يفعل شخص فعلا ، ويتولد بعد موته عنه أفعال فلا يمكن نسبتها إلى الميت وإذا كانت قبيحة فلا يمكن نسبتها إلى الله لأنه لا يفعل القبيح ، فهي أفعال لا فاعل لها فيجب أن تقول ذلك في كل المتولد ويظهر أن الجاحظ كان يرى هذا الرأي فأداه إلى القول بأن المعارف ليست من فعل الإنسان ، لأنا متولدة ، إما من اتجاه الحواس ، أو من اتجاه النظر ، ولذلك فإن الإنسان في تحصيل معارفه ، ليس له إلا توجيه الإرادة وما يحدث بعد ذلك فاضطرار ، وطبيعة ، فإذا أنت فتحت عينيك فأدركت أن هذا الشيء أحمر ، وهذا أخضر ، وهذا أكبر من ذاك ، ففتحك لعينيك عمل إرادي اختياري كسبي .

وأما المعارف التي تحصل منه ، أو بعبارة أخرى " تتولد عنه ": فاضطرارية وكذلك الشأن في توجيه الفكر والبحث واستعراض البرهان ، فتوجيه النظر عمل إرادي ولكن اقتناع النظر أو عدمه اقتناعه ، وتحصيل العلم ضروري أو اضطراري لا كسبي .

ومعارف الإنسان معارف بطبعه ، فهو يلتقم الثدي بطبعه ، ويألم ويطرب بطبعه ، فـإذا نما عقله طبيعيا ، نمت معارفه طبيعية ، فبدأ يدرك أن الكل أكبر من الجزء وأن الجـزم لا يكون في مكانيين ، وهو بطبعه يتطلب الفكر والنظر ، وهو بطبعه يقبل ما صح لديـه من برهان ويرى ما لم يصح عنه .

وخلاصة ما فهمناه من قول الجاحظ في هذه المسألة ، من قوله أن المعارف ضرورية أنـه لما رأى المعارف ضرورية ، استتبع ذلك أن الإنسان عقائده ليست مكتسبة ،بل هـي مفروضة عليه فرضا ، وأنها نتيجة حتمية لكيفية تكوين عقله ، وما يعـرض مـن آراء وأنها تفاعل طبيعي بين هذين فمن عرض عليه دين لم يستحسنه عقله ، فهو مضطـر إلى عدم استحسانه ، وليس في الإمكان أن يستحسنه .

فمن أسلم عن نظر فإسلامه ضروري غير مكتسب ، ومن كفر ، فكفره ضروري غـير مكتسب ، وليس للإنسان من الأعمال المكتسبة إلا توجيه الإرادة ، فإذا وجهها ، فمـا بعد ذلك من كفر أو إيمان ، لا دخل له فيه وحين إذ لا يكون مسؤولا عن اعتقـاده إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

فمن أصيب بعمى اللون ، فرأى الأحمر أسود فلا لوم عليـه في ذلـك ، إذ ليـس في استطاعته إلا أن يفعل عينيه أو يقفلهما ، أما أن يرى هذا أسود أو أحمر فلا دخل لـه فيه ، وكذلك الشأن في المعقولات .

ومن خلال هذا تبدو النزعة العقلية جلية ، وطاغية ، في تحليل الجاحظ وتصوره لطبيعـة المعرفة ، وهي من خصائص ودعائم مذهب المعتزلة ، وسيتضح لنا ذلك عند التطـرق إلى أصول مذهبهم ، وخصوصا التوحيد .

أصول المعرفة عند المعتزلة :

المعتزلة لهم مبادئ يكادون يشتركون فيها جميعا ، ويطلقون عليها الأصـول الخمـسـة وهي :التوحيد ـ العدل ـ الوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الخياط ـ وهو أحد أعلام المعتزلة في القرن الثالث ـ قال :(.. وليس يسـتحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيـد ، العـدل ، الوعـد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال المسعودى في مروج الذهب : كان يزيد يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليـه في الأصول الخمسة ..) . 1

وعليه فأصول المعرفة عند الاعتزال له بالنظر بلا قيد المعتزلة تنبثق أساساً مـن اعتقـادهم القاضي بتقديم العقل على النقل وفسح أو شرط في كلّ قضايا الدين والدنيا ، ذلـك أنّ عندهم أصول المعرفة واجبة قبل ورود السمع ، والحسن ، والقبيح ، يجب معرفتـهما بالعقل .

وقال : أهل العدل ـ يعني المعتزلة ـ المعارف كلها معقولة بالعقل, وواجبـة بنظـر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبيح يجـب معرفتـهما بالعقل . 2

____

1 ـ الشهرستاني / المرجع السابق / ص 63 بتصرف

2 ـ انظر / الشهرستاني / المرجع السابق / ص 64

الأصل الأول عنـد المعتزلـة :

التوحـ ـ ـيد :

إلى تفسير خاص ، وبلغوا في تعليله وقد عد هذا المبدأ من أهم مبادئ المعتزلة لأنـهم ذهبوا في تفسيره وفلسفته أقصى درجة ، إعتماداً على قدرة العقل ومبدأ التنزيه عنـدهم حتى اشتهروا به ونسب إليهم ، وكان المسلمون جميعا يمتازون بالتوحيد وباعتقاد أن لا إله إلاّ الله ، وحد لا شريك له .

ذلك أن المعتزلة رأوا في القرءان آيات كثيرة تدل على التنزيه ، فعمـدوا إلى شـرحها وتحليلها والتعمق فيها ، فأوضحوا معنى التوحيد في جلاء ، حسب مـا هداهـم إليـه العقل ، وهم بهذا على خلاف أهل السنة ، الذين يؤمنون بالتنزيه إجمالاً دون الخـوض في المتشابه من القرآن .1

ـــــــــــــــــــــــــــ

1ـ / الشهرستاني / الملل والنحل / ص 40.

فقالوا ـ أي المعتزلة ـ في معنى قوله تعالى : ((الرحمن على العرش استوى)) . 1
لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك جعلوه كناية عن المُلك فقـالوا : فـلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لشهرته في ذلـك المعنى ، ومساواته ملك في مؤداه . 2

ويقولون في قوله تعالى : ((ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)) . 3
وجه الله ذاته ، والوجه يعبر عنه بالجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون أين وجـه عربي كريم ينقذنا من الهوان . 4

مفهوم المعرفة عند المرجئة :
لقد تبين لنا من خلال الدراسات التاريخية ، أن مذهب المرجئة مر بمراحل تتطـور مـن خلالها ، كما تطورت المذاهب الكلامية الأخرى وخصوصاً في العصر العباسي ، ومـا تميز به من انفتاح على التراث الفكري اليوناني .

----
1 ـ الآية 4 / من سورة طه .
2 ـ الإمام الزمخشري / تفسير الكشاف / تق : محمد مرسي /
ط2 / دار المصحف بالقاهرة / 1397 ـ 1977 / ج2 / ص19 .
3 ـ الآية 25 / سورة الرحمن .
4 ـ الزمخشري / المرجع السابق / ص 296 .

وإذا كان للمعتزلة ـ كما مر معنا ـ الأصـ ـ ـول الخمسة .

فإن مذهب المرجئة . 1

مداره حول الإيمان ، وما يتعلّق به ، لذلك فالإيمان عندهم يعني " المعرفة " فهو معرفـة الله بالقلب فقط والتصديق به ، ولا عبرة بالمظهر فإن آمن بقلبه ، فهو مؤمـن ، وإن أظهر النصرانية ، وإن لم ينطق بلسانه بالشهادتين ، وليـس الإقـرار باللسـان ، ولا الأعمال من صلاة ، وصوم ، ونحوهما جزءاً من الإيمان ، وحجتهم أن القـرآن نـزل بلغة العرب ، والإيمان في اللغة هو التصديق فقط ، أما العمل بالجوارح فليس يسمى في اللغة تصديقاً وعليه فلا يعد إيماناً .

وقد جاء في القرآن حكاية عن اخوة يوسف :

((وما أنت بمؤمن لنا)) 2 .أي بمصدق ما حدثناك به ، وفي الحديث : ((... الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله)) .

أي تصدق به .

----

1 ـ المرجـئـة : اسم فاعل من الإرجاء ، وأن الإرجاء يأتي في العربية على معنيين :

ـ الأول هو التأخير ، تقول أرجأت كذا ، أي أخرته ، وفي القرآن ، وفي قصة موسى (قالوا أرجه وأخـاه ، وابعـث في المدائن حاشرين) . أرادوا ، أمهله ، وأخره

ـ الثاني للإرجاء : إعطاء الرجاء ، تقول : أرجيت فلاناً ، تريد أنك أعطيته والأمل .

وعليه فيجوز أن تكون تسمية هذه الفرقة ، بالمرجئة مأخوذاً من المعنى الأول ، لأنم كانوا يؤخرون العمل عن النية وعقـد القلب .ويجوز أن تكون مأخوذة من المعنى الثاني : لأنم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فقد كانوا يعطون المؤمن العاصي ، الرجاء في ثواب الله .

والمرجئة أقسام منها المرجئة الخالصة التي هي موضوع جزء من بحثي في مسألة الإيمان والمعرفة .

2 ـ الآية 17 / من سورة يوسف

لذلك قال أصحاب جهم بن صفوان (1) : الإيمان بالله ، هو المعرفة بـالله وبرسـله وبجميع ما جاء من عند الله فقط ، وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ، ولرسوله ، والتعظيم لهما ، والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس من الإيمان ، وأن الكفر بالله هو الجهل به .2

فالمعرفة تعني الإدراك ، والعلم بوجود الله تعالى ، كما أن الكفر في نظرهم ، ما هو إلاّ الجهل به ، ومن خلال هذا المفهوم ، فكل البشرية من لدن آدم ، إلى آخر بشر في هذه الدنيا ، يعتبر مؤمناً ، لأن هذا الإيمان لا يلحق المرء تكليفاً ، ولا يترتب عليه جزاء .
ثم قالوا : أن الإنسان إذا أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه ، أنه لا يكفر بجحده ، وأن الإيمان لا يتبعض ، ولا يتفاضل أهله فيه ، وأن الإيمان ، والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح .

فمن خلال هذا القول ، لأصحاب جهم بن صفوان ، فإنه يمكن الإستنتاج بأن الأعمال عندهم لا دخل لها في الإيمان مطلقاً, لكن السؤال الذي ينتظر الإجابة ،هو ما في القلب فقط ؟ ثم ما هي الضوابط التي تحكم سلوكات المؤمنين حسب ما ذهبوا إليه في تعريفهم للإيمان ؟ .

----

1 ـ هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسي , قال عنه الذهبي : (الضال المبتدع رأس الجهمية) .
أخذ عن الجعد بن درهم , و قتل سنة 128هـ

2 ـ راجع / الشهرستاني / الملل والنحل / تح / محمد عبد القادر الفاضلي / ج 1 / ط 1 / م : العصرية بيروت / 1420هـ / 2000 م / ص 111-115 .

الفرقة الثانية من المرجئة :

وهم أصحاب أبي الحسين الصالحي ، فقد زعموا : (أن الإيمان هو المعرفة بـالله فقـــط والكفر هو الجهل به فقط) . وهم بذا وافقوا الجهمية فيما ذهبوا إليه ، وزادوا عنـهم بقولهم :(القائل أن الله ثالث ثلاثة ، ليس بكفر ، ولكنه لا يظهر إلا من كافر ، وذلـك أن الله سبحانه أكفر من قال ذلك ، وأجمع المسلمون أنه لا يقوله إلا كافر.) 1

فقولهم بأن صاحب التثليث ليس بكافر ، فهو حكم ناتج عن تقريرهم للإيمـان بأنــه معرفة ، والكفر جهل ، لكن الإشكال المطروح : هو عندما اعتـبروا صـدور ذلــك القول لا يكون إلا من كافر ، واستدلوا على ذلك بأن الله سبحانه أكفر من قال بذلـك وأن المسلمين أجمعوا على تكفيره .

فهذه النتيجة لا تتفق مع مقدمتهم ، التي عرفوا فيها الإيمان بأنه معرفة فقـــط . أمـا قولهم : بأنه لا يؤمن بالله إذا جاء الرسول ، إلا من آمن بالرسول .

فإنه يفهم منه أنه يمكن الإيمان بالله قبل بعثة الرسول ، ولكن ما مصدر هـذه المعرفــة وهذا الإيمان القبلي ؟ أيتحقق ذلك بالاعتماد على العقل ؟ وهـذا مـا ذهـب إليــه المعتزلــة ، أم أن ذلك يعود إلى كون المعرفة اضطرارية ، وفطرية فقـــط ، دون أن يتعداها .

---

1 ـ الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الاشعري / مقالات الإسلاميين / ج 1 / ط2 / بيروت1405 هـ ، 1985 م / ص 198 - 2007 .

مفهوم المعرفة عند الأشعرية :

إذا كان المعتزلة يرون أن الإيمان يعني التصديق بالقلب والإقـرار باللسـان والعمـل بالأركان على اعتبار أن العمل ركنا في الإيمان ، ويشاطرهم في هذا التعريف الخوارج

وأن المرجئـة على خلاف ذلك ، يرون أن الإيمان هو مجرد معرفة وتصديق ، ولا دخـل للعمل في ذلك إطلاقاً .

أما الأشعرية ، فقد ذهبوا مذهباً وسطا ، بين هؤلاء وهؤلاء ، فهم يـرون أن المعرفـة عندهـم تعني الإيمان ، وأن الإيمان عندهـم يكون بالتصديق بـالقلب ، والإقـرار باللسـان ، والعمل بالجوارح .

لكن العمل عندهـم يعد فرعاً ملازماً للإيمان ، وليس ركناً ، كما ذهبت إليه المعتزلـة والخوارج .

ولا استثنائياً كما ذهبت إليه المرجئـة ومن نحا نحوهم ، بحيث لو أن مؤمناً مات حـال إيمانه ، لفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى .1

----

1 ـ راجع / الشهرستاني / الملل والنحل / تق: محمد عبد القادر الفاضلي / المكتبة العصرية صيدا بيروت / ط 1 / 1420 هـ 2000م / ص80 ـ 81 بتصرف

وعليه فمفهوم المعرفة عند الأشعرية ، يمكننا بيانه من خلال مقولات صاحب المذهب فقد قال : (الإيمان هو التصديق بالجنان ، وأما القول باللسان ، والعمل بالأركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب ، أي : أقر بوحدانية الله تعالى ، واعترف بالرسل تصديقاً لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى ـ بالقلب ـ صح إيمانه حتى ولو مات عليه في الحال ، كان مؤمناً ناجياً ، ولا يخرج من الإيمان إلاّ بإنكار شيء من ذلك) . 1

فمن خلال هذا التصريح الصريح لمفهوم الإيمان عند أبي الحسن الاشعري الذي جعل فيه مدار الإيمان على التصديق بالقلب , ولكنه أضاف إلى ذلك القول باللسان والعمل بالجوارح ، معتبراً إياهما من الفروع اللازمة والضرورية لكمال الإيمان .

وبهذا يكون قد خالف المعتزلة ، والخوارج ، الذين اعتبروا العمل شرطاً أساسياً في الإيمان ، كما خالف المرجئة التي تغاضت عن العمل إطلاقاً ، وجعلت الإيمان وقفاً على التصديق .

ولهذا يمكن القول بأنّ المذهب الأشعري ، يعد في هذه المسألة مذهباً وسطاً ، جمع بين التصديق بالقلب ، والعمل بالجوارح في مسألة الإيمان .

----

1 ـ الإمام أبي الحسن الأشعري / نفس المرجع السابق / ص 207

أما قوله فيما يتعلق بصاحب الكبيرة: (... وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا مـــن غير توبة ، يكون حكمه إلى الله تعالى . إما أن يغفر له برحمته ، وإما أن يشفع فيه النـبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال : ((وشفاعتي لأهل الكبائر مـــن أمتي)) . 1
وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ، ثم يدخله الجنة برحمته . ولا يخلد في النار مع الكفار لما ورد به السمع ، بالإخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ..) . 2

فهو أي : (الأشعري) يفوض أمر صاحب الكبيرة إلى الله تعالى ، إذا مات من غـــير توبة ، ولم يحكم بخلوده في النار كما قالت الخوارج ، ولا بعدمه كما قالت المـــرجئة وبذا كان وسطا بين الفريقين .
وقد سقت مثال صاحب الكبيرة ، لأظهر مكانة العمل كفرع لازم وضروري لبلـــوغ الإيمان كمال ذروته .

ثم قال : (.. ولو تاب فلا أقول بأنه يجب على الله تعالى قبول توبته بحكم العقل إذ هـــو الموجب فلا يجب عليه شيء ، بل ورد السمع بقبول توبة التائبين وإجابـــة دعـــوة المضطرين وهو المالك في خلقه ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فلو أدخل الخلائـــق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفاً ، ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً .إذ الظلم هـــو التـصرف فيما لا يملكه المتصرف أو وضع الشيء في غير موضعه ، وهو المـالك المطلـق ، فـلا يتصور منه ظلم ، ولا ينسب إليه جور..) . 3

----
1 ـ رواه أبو داود (4739) ، الترمذي (2436) ، أحمد 3 / 213 .
2 ـ الشهرستاني / المصدر السابـــــــــــــق / ص 80 . بتصرف
3 ـ الشهر ستاني / المرجع السابق / ص 81 بتصرف

فالأشعري بهذا سلك مسلكاً وسطاً ، حيث اعتبر المؤمن الموحد ، الفاسق هو في مشيئة الله تعالى ، إن شاء عفا عنه بفضلـه ، أو عاقبه بعدلـه .

ولم يبن أحكامه على تصور العقل وافتراضاته ، كما هو الشأن عند المعتزلة ، ولا علـى العاطفة والوجدان ، كما ذهبت إليه المرجئة .

فالعقل عنده لا يوجب شيئاً ، ولا يقتضي تحسيناً ، ولا تقبيحاً ، وإنمـا دور العقـل في المعارف كونها به تحصل ولكنها بالسمع تجب قال تعالى: ((وما كنا معذبين ، حتى نبعث رسولاً)) . [1]

وبهذا سلك الأشعري في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ، ومسلك العقل ، فـهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم ، والحديث الشريف من أوصاف الله تعـالى ، ورسـله واليوم الآخر ، والملائكة ، والحساب ، والعقاب والثواب . ويتجه إلى الأدلة العقليـة والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسـنة عقـلاً ، بعـد أن وجب التصديق بها نقلاً فهو يتخذ من العقل خادماً ، لظواهـر النصـوص ، يؤيدهـا ويدافع عنها .

----

1 ـ الآية 15 / من سورة الإسراء .

الفصل الرابــع

" مصادر المعرفة عند ابن تيمية "

المبحث الأول : المصادر الشرعية

ـ الكتاب

ـ والسنة .

المبحث الثاني : المصادر الذاتية

ـ فطــرية .

ـ قلبيــــة .

ـ إلهامية .

بعد التعرف على مفهوم المعرفة عند كلّ مـن المعتزلـة والخـوارج ، وفي مقابلـهما مفهومها عند المرجئة ، وتتوسطهما الأشعرية في تقريرها للمعرفة .

وقد تبين من خلال ذلك أن الفرق الثلاث كلها تنطلق في تأسـيس المعرفـة علـى التصديق القلبي ، ثم تختلف بعد ذلك من حيث اعتبار العمل ركناً لازمـاً في الإيمـان كما هو الحال عند المعتزلة و الخوارج ، أو كما هو الشأن عند الأشعرية في اعتبـاره مكملاً للإيمان ، أمّا المرجئة فقد اكتفوا بالتصديق في ذلك دون غيره.

وقد سبق لي أن ذكرت ذلك بإيجاز ، حتى أتمكن من إجراء مقارنة بين تلك التعريفـات و ما سأتناوله بالبحث والدراسة في مضمون المعرفة عند الشيخ ابن تيمية ـ رحمـه الله فالمعرفة عند الشيخ ابن تيمية ، أتناولها من حيث مصادرها ، وقد قسمتها إلى شـرعية وذاتية .

وأعني بالشرعية : القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وما أجمعت عليه الأمـة وما صح قياسه على الكتاب والسنة .

وأعني بالذاتية: ما اشتملت عليه الذات البشرية من نوازع فطرية وقلبية وإلهامية .

وسيأتي تفصيل ذلك في محله لاحقا .

ـ المصادر الشرعية :

ونعني بها القرآن الكريـم ، والسنة النبوية الشريفة ، وما أجمعت عليه الأمـة ، ومـا صح قياسه على الكتاب والسنة كما أشرت إليه آنفا .

فالقرآن الكريم :

يعتبره ابن تيمية مصدرا أساسا ومقياسا لكل المصادر الأخرى ، فكل ما وافقـه فـهو صحيح ، وكل ما خالفه فهو باطل ، لاسيما إذا كانت المعرفة تتعلـق بالمغيبـات ، أو الفرائض والعبادات .

لذلك فهو يقول :

(...ففي هذه الأمور العلمية الكلامية يحتاج المخبر بها أن يكون ما يخبر بـه عـن الله واليوم الآخر ، وما كان وما يكون حقا وصوابا ، ويؤمر به وما ينهى عنـه ـ كمـا جاءت به الرسل عن الله ـ فهذا هو الصواب الموافق للسنة والشريعة ، المتبع لكتـاب الله وسنة رسوله... وما لم يكن كذلك كان من الباطل والبدع المضلة والجـهل ، وإن كان يسميه من يسميه علوما ومعقولات ، وعبادات ومجاهدات ، وأذواقا ومقامات)

----

1 ـ ابن تيمية / الاستقامة / ج 2 / ص 299 .

ويؤيد ابن تيمية رأيه هذا بالبرهان على أن صحة أي علم أو اعتقاد عنـد صاحبـه لا يعني صحته مطلقا ، فلا يصح إطلاقا إلا ما جاءت به الرسل عن الله ثم يلخص ذلـك بقوله :

(... وكذلك كون العلم ضروريا ونظريا،والاعتقاد قطعيا وظنيا ، أمور نسـبية: فقـد يكون الشيء قطعيا عند شخص ، وفي حال أخرى مجهولا فضلا عن أن يكون مظنونـا ....وقد يكون الشي ضروريا لشخص .....ونظريا لشخص آخر ..... وأما ما أخبر بـه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه حق في نفسه ، لا يختلف بـاختلاف عقـائد الناس وأحوالهم ، فهو الحق الذي لا يقبل النقيض...........) . [1]

وعليه فبعد هذا العرض الوجيز لأقوال الشيخ و المتضمن لأولوية الوحي الإلهي علـى غيره من المصادر التشريعية ، فإنه يمكننا أن نتعرض ، لما اشتمل عليه هذا المصدر ، مـن فروع للدين وأصولـه بما فيها البراهين اليقينية والأدلة العقلية ، كما ذكر ذلك ابـن تيمية في رسالة له جاء في مقدمتها : (فصل في أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ بين جميع الدين : أصوله وفروعه ، و باطنه وظاهره علمه وعمله...) .[2]

----

1 ـ ابن تيميه / المرجع السابق /ج2ص 299 بتصرف .

2 ـ ابن تيمية /مجموع الرسائل الكبرى / الرسالة الثانية / معارج الوصول .

/ تق : حسين أفندي شرف / ج1 / المطبعة المشرفية / 1824 هـ / ص180

ثم رد على من زعم خلاف ذلك بقوله :

(... والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة ... ممن سلك في إثبات الصانع طريقة الأعـراض يقولون : إن الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول ، إما لشغلهم بالجـهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع ، وبين أن أصـول الديـن الحق الذي أنزل الله به كتاب , وأرسل به رسوله , وهي الأدلة ، والـبراهين اليقينيـة والآيات الدّالة على ذلك قد بينها الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحسن بيـان وأنه دلّ الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية والتي بها يعلمون المطـالب الإلهية ، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله ووحدانيته ، وصفاته ، وصدق رسوله والمعـاد وغير ذلك) . 1

ثم انتقل للحديث عن شمولية هذا المصدر لكل أمور الدين فقال : (وأما العمليات ومـا يسميه ناس :الفروع والشرع والفقه ،فهذا بينه الرسول - صلى الله عليه وسـلم - أحسن بيان , فما من شيء مما أمر الله به , أو نهى عنه أو حلله أو حرمه , إلا بيّـن ذلك) . 2

----

1 - ابن تيميه / المرجـع السـابق / ص183 بتصرف

2 - ابن تيميه / المرجـع السـابق / ص183 - 184

وقد قال تعالى:

((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) . 1

وقال تعالى :

((ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كـل شـيء وهـ ـدى ورحمة لقوم يؤمنون)) . 2

ثم ذكر ما اشتمل عليه المصدر من المباحات والمحرمات , وكونه حكما يرجع إليه عنـ ـد الخلاف وأن الرجوع إليه عند هذه الأمة , إنما يكون عن طريق القرآن والسنة .

لقوله تعالى :

((وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه)) . 3

وقال تعالى :

((فان تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)) . 4

فهو بهذا قد بين للمؤمنين كلما يتقون ،وردهم إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه حتى بعـ ـد موته , حسما لكل نزاع من شأنه أن يثير الفرقة بين أبناء الأمة ، ولو لم يكن بيـ ـان الله والرسول - صلى الله عليه وسلم - فاصلا للنزاع , لم يؤمروا بالرد إليه ، وفي ذلـك خير الدنيا والآخرة .

----

1 - الآية 3 / سورة المائـدة .

2 - الآية 111 / من سورة يوسف

3 - الآية 119 سورة الأنعـ ـام.

4 - الآية 59 / من سورة النساء .

وعليه فابن تيميه ـ رحمه الله ـ لم يختلف عن غيره من علمـاء المسـلمين في اعتبـار القرآن الكريم هو الصدر الأول والأساسي للتشريع ، وأنه الأصل الأول للإسلام (عقائده، وتشريعـاته ، وأخـلاقه وآدابه)

وهو دين الإسلام و شريعته الغراء و محجته البيضاء ، وإليه يرجع السائلون .

وقد قال الإمام التهانوي وهو يتكلم عن الشريعة :

(الشريعة ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جـاء بها نبي من الأنبياء ـ صلـى الله عليهم وعلى نبينا وسلم ـ سواء أكانت متعلقة بكيفية عمـل وتسـمى فرعيـة وعملية ،ودون لها علم الفقه ، أم بكيفية الاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ؛ ودون لهـا علم الكلام .ويسمى الشرع بالدين والملة) . 1

فقد كان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كسلفه الإمام احمد بن حنبـل(2)في اسـ ـ ـتناده إلى كتاب الله كما ذكر ذلك ابن القيم في كتابه أعلام الموقين عنـد شـرحه للمـصـادر الخمس عند الإمام احمد وخلـ ـفه ابن تيمية.

----

1 ـ محمد علي التهانوي / كشاف اصطلاحات الفنون / مادة الشريعة / ج1/طبعة الأستانة 1317 هـ /ص352 / .

2 ـ انظر / ابن حنبل : حياته و عصره و آراؤه / ابو زهرة / / دار الفكر العربي / القاهرة / ب ت / ص 48

فقد كان يفتي بالنص من كتاب الله إذا صادفه , دون الجوع إلي غيره ممن وافقه أو خالفه ولو كان من كبار الصحابة , وعند عدم وجود النص من كتاب الله تعالى ، يلجأ إلى فتوى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين , فإذا وجد لبعض الصحابة فتوى لا يعرف لها مخالفا, اخذ با ولم يتجاوزها إلى رأي آخر, دون أن يدعي أن ذلك إجماعا بل يقول تورعا ما يفيد انه لا يعلم شيئا يعارض هذه الفتوى ، وإذا تعددت الآراء من الصحابة في المسالة الواحدة كان يلجأ إلى اختيار أقربا إلى كتاب الله والسنة أي انه لا يخرج عن رأي من هذه الآراء ولهذا كان يتوقف أحيانا عن الفتوى إذا لم يجد مرجعا لتلك الآراء) . [1]

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا أن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كان وقافا على النص متأثرا بسلفه الإمام احمد الذي يوصف بالفقيه الأثري .

----

1 ـ ابن القيم / إعلام الموقعين/ ج1 / ص 23 .

السنة النبوية الشريفة :

بعد أن بين ابن تيمية أهمية القرآن الكريم في التشريع الإسـلامي باعتبـاره المـصـدر الأساسـي الأول الذي يعتمد عليه في تبليغ رسالة الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ وبيان وظيفته التربوية والمعرفية وما يتعلق بها .

شرع يتكلم عن دور السنة ومكانتها ، باعتبارها المـصدر الثـاني بعـد القـرآن الكـــــريم

فقال: ((... والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة ،كما ذكر ذلك في غير موضـع وقد علم أمته الكتاب والحكمة ، وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة ، وأمـر أزواج نبّيه بذكر ذلك . فقال: (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)) 1 فآيات الله هي القرآن ...والحكمة : قال غير واحد من السلف : هي السـنة ...فهـي تتضمن التمييز بين المأمور والمحظور ، والحق والباطل ، وتعليم العلم بالحق دون البـاطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل ، وبين الأعمال الحسنة ومن القبيحة والخـير والشر). 2

ـــــــــــــــــــ

1 ـ الآية 34 من سورة الأحزاب

2 ـ ابن تيمية /مجموع الرسائل / ج 1/ ص 195 .

فالسنة الشريفة هي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم بإجماع المسلمين على ذلك . وهـي عنـد الشـيخ ابن تيمية أنواع ثلاث :

ـ النوع الأول :

وهي السنة المتواترة التي تفسر القرآن ، ولا تخالف ظاهره ، مثل ما جاء منها في عـدد صلوات اليوم والليلة ، وعدد ركعات كل صلاة ، ومقدار نصاب الزكـاة في أنـواع الأمـوال المختلفة ،ومناسك الحج والعمرة وكيفية أدائها ، وغير ذلك من الأحكـام التي بينتها السنة ولم تعلم إلا بها .1

وهكذا نرى ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يشدد على العمل بالسنة متى صحت ويعتبرهـا أصلا من أصول الدين ، ولو كانت أخبار آحاد صحت عن الثقاة ، ولا يرد بعـضها لأنها تخالف عموم القرآن أو ظاهره في رأي البعض .

ولا يذهب مذهب أبي حنيفة (2) ومالك في ردهما لبعض هذه الأخبار ، لهذا السـبب أو لأنها تخالف ما عليه عمل أهل المدينة عنـد مالك.

----

1 ـ أنظر محمد سلام مذكور / التعريف بالشريعة الإسلامية / د ـ نا /.
طبعة القاهرة 1964 / ص 40 .

2 ـ أنظر / أبو زهرة / أبو حنيفة (حياته و عصر و آرؤه) / ط3 /
دار الفكر العربي / القاهرة 1960 / ص 32 ـ 34

وكثير من آي القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم تؤيـــده في منهجه الذي سلكه . وليست طاعة الله في الحقيقة إلا العمل بمقتضى كتابـــه العزيـز وأحاديث رسوله الصادق الأمين كما أن طاعة الرسول - صلى الله عليه وســلم - تكون بالعمل بما صح عنه من السنة المطهرة , والرسول - صلى الله عليه وسلـــم - حذر من مغبة ترك العمل بما ثبت عنه من السنن .

فقال : ((لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر بما أمرت به أو نهيت عنـــه فيقول : لا أدري ، ما وجدناه في الكتاب أتبعناه) . 1

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - من خلال هذا التحذير الشديد ، يؤكد بقوة علـــى أهمية السنة في ميدان التشريع ، خاصة إذا علمنا أن كثير من الأحكام مـأخوذة مـــن السنة النبوية الشريفة ، وأن كثيرا من الأحكام التي ثبتت بالســنة ،هـي في الواقـــع تخصيص لظاهر القرآن وعمومه ، ومن هذا القبيل قوله تعالى :

((حرمت عليكم الميتة والدم)) 2 .

هي من خلال نصها وظاهرها تفيد مطلق تحريم الميتة والدم ولكن الرسول - صـلى الله عليه وسلم - في حديث له خصص عموم هذه الآية بقوله (أحلت لنا ميتتان : السمك والجراد ، ودمان : الكبد والطحال) .3

----

1 ,3 - الشافعي/ الرسالة / المطبعة الأميرية بالقاهرة / سنة 1321 هـ / ص15 - 20.

2 - الآية 3 من سورة المائدة

فبدون هذا الحديث الشريف ، فإنه يتعذر الوقوف على الحكم الشرعي لمثـل هـ ـذه المسالة ، لذلك فإن القول بمجانبة السنة ، والاكتفاء بالقرآن فقط ، هو عين التعطيـ ـل لشرع الله تعالى .

ولذلك قال الحق تبارك وتعالى في خطابه لأهل الكتاب ومن حذا حذوهم :
((أ فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزآء من يفعل ذلك منكم إلا خـزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما يعملون)). 1

فالآية أنكرت على اليهود في قتالهم ، قتل النفس وسلب الأموال بغـير حـ ـق لأن في شريعتهم (التوراة) نص ذلك ، ولكن حب الدنيا ـ وهم احرص النـاس عليـها ـ دفعهم إلى تحريف كتاب الله ، والعمل بما يوافق هواهم و يحقق مقصدهم .

وعليه يمكن إسقاط مدلول آية ، على كل من يريد العمل ، ببعض التنزيل دون غـيره فالسنة هي من الوحي لقوله تعالى في حق نبـ ـ ـ ـ ـيه الكريم :
((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي)) . 2

----

1 ـ الآية 85 / من سورة البقرة .
2 ـ الآية 3 ـ 4 / من سورة النجم .

ـ النوع الثاني :

وهو ما لا يفسر القرآن ، أو يقال أنه يخالف ظاهره في شيء ، ولكنه أتى بحكم جديـ ـد مثل السنة التي جاءت في تقدير نصاب السرقة ، ورجم الزاني ، وما شاكل ذلك مـ ـن السنن التي جاءت بأحكام غـير منصوص عليها في القرآن ، ولا تخالف ظاهره مطلقا

يرى ابن تيمية أن هذا النوع من السنة , يجب العمل به إلا الخوارج أو بعضهم فـ ـإ م خالفوا هذه السنة .

و مذهب جميع السلف العمل با أيضا إلا الخوارج ، فإن من قولهم أو قـ ـول بعـضهم مخالفة السنة (أي التي من هذا النوع), حيث قال أولهم للرسول ـ صلى الله عليـ ـه وسـلم ـ في وجهه :

هذه القسمة ما أريد با وجه الله ، ويحكى عنهم أ م لا يتبعـون الرسـول إلا فيمـ ـا بلغه عن الله من القرآن والسنة المفسرة له . ولهذا كـانوا مارقـة مـن الإسـ ـلام كمـا يمرق السـهـم من الـرمية . 1

----

1 ـ أنظر / ابن تيمية/ المعجزات والكرامات /ص 20 ـ 31

ـ النوع الثالث :

وهو أحاديث أو أخبار الآحاد التي وصلت إلينا بروايات الثقاة عن الثقـاة والمتلقـاة بالقبول، ويعتـبرها ابن تيمية حجـة أصلا من أصـول الإسلام ،يجـب تقـديم العمل بها على كافة المصادر الأخرى بعد القرآن الكريم .

وهذه أيضا مما اتفق أهل العلم على اتباعها ،من أهل الفقـه ، والحديـث والتصـوف وأكثر أهل العلم . وقد أنكرها بعض أهل الكلام ... وكثير من أهل الرأي قـد ينكـر كثيرا منها بشروط اشترطها ومعارضات دفعها به ووصفها ، كما يرد بعضها بعضا (أي من السنة) لأنه يخالف ظاهر القرآن فيما زعم ، أو لأنه خلاف الأصول أو قيـاس الأصول ، أو لأن عمل متأخري أهل المدينة على خلافه . أو غير ذلك مـن المسـائل المعروفة في كتب الحديث والفقه وأصول الفقه) . 1

----

1 ـ انظر / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 21 ـ 26 .

المصادر الذاتية (الفطرية)

وأعني بالذاتية تلك النوازع الفطرية والقلبية والإلهامية التي تضمنتها الذات البشرية .

فكو ا فطرية :لأن معرفة الله والإقرار بالعبودية للخالق سبحانه ، أمـر معـروز في النفوس وفطري في جبلات الناس جميعاً ، قال تعالى :

((وإذ أخذ ربك من بني آدم ، من ظهورهم ذرياتم ، وأشـهدهم علـى أنفسـهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هـذا غافلين)) . 1

فمضمون هذه الآية يفيد إقرار الناس كلهم ، بمعرفة ربـم ، وهي شـهادة علـى أنفسهم ، بالمعرفة التي فطروا عليها ، والميثاق الذي أخذ منهم عليها .

ولكن أكثرهم غفلوا عمّا فطروا عليه من معـــــرفة الله ، والعلم به ، بسبب إجتيـال الشياطين لهم ، ولهذا الغــــرض جاءتم الرسـل ـ عليهم الصـلاة والسـلام ـ كما قـال تعالى :

((... جاءتم رسلهم بالبينات ، فردّوا أيديهم في أفواههم)) . 2

---

1 ـ الآية 172 / من سـورة الأعراف

2 ـ الآية 09 / من سورة إبراهيم

ولكن هناك نوع آخر من الناس فسدت فطرتم ،فاحتاجوا إلى دواء فهم محتـ ـاجون إلى النظر والاستدلال .

لذلك يرى ابن تيمية أن كثيراً من أهل الكلام قد أخطؤوا ، عند اختيارهم للمعرفـ ـة بأ ا لا تقع إلا بنظر ، وكسب ، وحجتهم في ذلك : أن المعرفة لو وقعـ ـت ضرورة بدون كسب ونظر ، لارتفع التكليف .1

وابن تيميه يبين أن هذا خطأ ، لأن التكليف يأتي عن طريق الرسـ ـل أما العلـ ـم بالصانع فهو فطري ، والناس كلهم ، من مسلمين وكفار ، ولـ ـدوا في هـ ـذه الحيـ ـاة مفطورين على معرفة الله ، وكذلك إبليس , وفرعون وغيرهما كانوا في الباطن عـ ـارفين بربم ، وإنما جحدوا ذلك ظلماً وعدواناً ، قال تعالى : ((وجحدوا با ، و اسـ ـتيقنتها أنفسهم ظلما , و علوا)) . 2

و قوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ ((خلقت عبـ ـادي حنفـ ـاء فاجتالتهم الشـ ـياطين و حرمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)) . 3

ومن هذا المنطلق ينبغي على المؤمن أن يفي بعهده ، وأن يلتزم بميثاقه ، وأن ينصـ ـاع إلى هذه المعرفة الفطرية . ذلك لأن دليل العلم الإلهي ومبدأه هو الإيمان بـ ـالله ، ورسـ ـله وهكذا كانت طريقة الأنبياء والمرسلين ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ في الدعـ ـوة إلى الله وعبادته بالقلب واللسان ، بادئ ذي بدء .

----

1 ـ أنظر / منطق ابن تيمية / محمد حسني الزين / ط1 / المكتب الإسلامي بيروت / 140 ـ 220 .

2 ـ الآيـ ـة 14 / من سورة النمل

3 ـ أنظر هذا الحديث في مسلم 4 / 2197 ـ 2198 / كتاب الجنة وصفة نعيمها /
و أوله : ((الا أن ربي أمرني أن أعلمكم ...))

ويبرهن ابن تيميه على أن معرفة الإنسان لربه ، فطرية في الإنسان نفسـه ذلـك لأن الإنسان لم يحدث نفسه ، وكذلك موقفه من الأمور المألوفة لديه والتي اعتاد رؤيتـها في أغلب الأحوال ، كالبناء الذي يراه ، لا بد له من بان والآثار التي يراها على ظـهر الأرض لابد لها من مؤثر وغير ذلك مما يشاهده ويألفه .

أما المتجدد الغريب كالرعد والبرق والزلزال ، فإنه يكـون داعيـا قويـا لتحريـك السواكن ولتأكيد المعرفة الفطرية بالله تعالى .
ولهذا كانت فطرة الخلق مجبولة على أنهم متى شاهدوا شيئا من الحـوادث المتجـددة ذكروا الله وسبحوه .

وإذا علم الإنسان أنه لم يحدث نفسه ، كما أن أحداً من البشر لم يحدثه عرف أن لـه خالقاً ، يتصف بالحياة والعلم والقدرة ، ذلك لأن هذه الصفات يمكنه معرفتـها عـن طريق الإستدلال بطريقة الأولى ـ يعني قياس الأولى الذي سنعود إلى الحديث عنه عنـد التطرق إلى طرق الأدلة عند ابـن تيـمية ـ و بمقارنتها بصفـات غيره مـن المخلوقين .1

----

1 ـ أنظر / ابن تيمية / موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول /
تق / محمد محي الدين عبد الحميد و محمد حامد الفقهي /
مطبعة المحمدية / د.ت /ج 3 / ص 95 .

إن علم الإنسان إذن بنفسه المعينة المشخصة ، يفيده العلم بذه المطـالب ، وغيرهـا ، كما قـــال تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) . 1

ومن خلال هذا الإقرار الفطري بوجود الله تعالى ، والذي يظهر كأوضح ما يكون عنـد الفزع إليه في الشدائد ، بالإضافة إلى هذا الاستدلال بالآيات التي تلفـت إلى الـذات وتدعوا إلى التدبر . يسمـــي ابن تيمية كل هذا بعلم القلوب .2

فالمعرفة بالله عند ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مصدرها فطري وقلبي إذ يقول :(ولكـنّ علم القلوب بمقتضى الآيات والعلامات ، لا يجب أن يقف على القياس). 3

أي أن المعرفة القلبية تستمد ضياءها من المعرفة الفطرية التي جبلت النفس عليـها ، ثم يضيف قائلا :(... فإن العبد عندما يعرف ربه يذكره ...) 4
وهو هنا يشير إلى الذكر الذي يطمئن القلوب , ويربطها بالله مصداقا لقـــوله تعالى : ((ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) . 5

----

1 ـ الآية 21 / من سورة الذاريات
2 ـ أنظر / التصوف بين الغزالي و ابن تيمية / ص 241 ـ 247
3 , 4 ـ التصوف بين الغزالي و ابن تيمية / ص 242 بتصرف
5 ـ الآية 29 / من سورة الرعد

المصادر الذاتية (القلبية)

ومن خلال هذا العرض لرأي الشيخ ابن تيمية حول المعرفة بالله تعالى أرى أن الفطـرة عنده من أسس المعرفة ، وأ ا تتجلى عن طريق القلب ، إنه بهذا يسـ ـتند إلى نـص الحديث الذي يعرف القلب بأنه سيد الأعـ ـضاء ((ألا وإن في الجسد مضغـ ـة ، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)).1

فإذا كانت المعرفة تتم عن طريق القلب ، فكيف يتم العلم بها ؟ فيجيب شيخ الإسـلام ابن تيمية بما يفيد أن القلب يقبل العلم بنفسه ، ولك الأمر يتوقف على اسـتعدادات وشروط فإذا رغب الإنسان في العلن أصبح مطلوباً .

ويمكن أن يأتي العلم فضلا

فإذا رغب الإنسان في العلم ، فإن القلب هو الذي يوجهه نحو الأشياء ابتغاء العلم بـها مستخدماً في ذلك وسيلتين هما : السمع والبصر ، وهذه الأعضاء الثلاثة هي أمـ ـهات ما يدرك به العلم الذي يميز الإنسان عن سائر المخلوقات الـتي تشـاركه في الشـ ـم والذوق واللّمس .

وهنا يدرك الإنسان ما يحب ويكره ، وما يميز به بين من يحسن إليه ومن يسيء إليه .

----

1 ـ انظر/ البخاري / كتاب الإيمان / ص52 ، ومسلم في المسافاة 1599 /107 .

كلاهما عن النعمان ابن بشير

2 ـ ابن تيمية / مجموع الفتاوى / ج9 / ص309

قال تعالى :

((ثم سواه , ونفخ فيه من روحه , وجعل لكم السمع والأبصار و الأفئدة قليلا مـا تشكرون)). 1 وقال أيضاً : ((ولا تقف ما ليس لك به علم إن السـمع والبصـر والفؤاد , كل أولئك كان عنه مسؤولا)) . 2

ولكي يتم صلاح القلب ، ينبغي أن يعقل الأشياء ، ولا يقتصر على العلم بها فحسـب والذي يعقل الشيء هو الذي يقيده ويضبطه ويعيه ، ويثبته في قلبه ، فيكـون وقـ ـت الحاجة إليه غنيا به ، فيطابق عمله قوله وباطنه ظاهره ، وذلك هـو حـال مـن أوتي الحكمة .

قال تعالى: ((يؤتي الحكمة من يشاء ومن أوتي الحكمة ، فقد أوتي خيراً كثيراً)) . 3

والذي يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم ، هو أحد رجلين : إما رجل رأى الحق بنفسه فقبله فاتبعه ، ولم يحتج إلى من يدعوه إليه ، فذلك صاحب القلب أو رجل لم يعقله بنفسه بـل هو محتاج إلى من يعلمه ، ويبينه له ، ويعظه ويؤدبه .

قال تعالى : ((إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)) . 4

----

1 ـ الآية 09 / من سورة السجدة

2 ـ الآية 36 / من سورة الإسراء

3 ـ الآية 268 / من سورة البقرة

4 ـ الآية 37 / من سورة ق

أي حاضر القلب فيما يتلقاه ، ويسمعه ، لينطلق بعد ذلك ممتثلا إياه في واقعــه . وأن سائر الأعضاء هي بمثابة الخدم للقلب ، فيما تنقله إليه .

فالأذن مثلا تحمل المشتمل على العلم إلى القلب ، والعين تبصر ما تنظر إليـــــــه فإذا علم القلب ما نظر إليه ، فذلك مطلبه ، ولكن خصائص العين تقتصر عن القلــب والأذن ، لأن بواسطتها يرى صاحبها الأشياء حاضرة فحسب ، لهذا يمتــــاز القلــب والأذن عن العين ، بأنه يعلم بما ما غاب عنه من الأمــور الروحانيــة ، والمعلومــات المعنوية ، وينفرد القلب وحده بأنه يعقل الأشياء بنفسه ، ويمتاز بذلك عن الأذن الــتي يقتصر دورها على حمل الكلام إلى القلب .

فإذا وصل إليه أخذ منه ما فيه من العلم ، فصاحب العلم في حقيقة العلم هو القلــب وإنما سائر الأعضاء خدم له ، توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه . 1

أما الغرض من القلب فإنه قد خلق لذكر الله تعالى ، والعلم به لذلك قــال سليمان الخواص : (الذكر للقلب بمـ لة الغذاء للجسد ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مــع السقم ، فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مــــع حب الدنيا) . 2

---

1 ـ أنظر / عبد الفتاح محمد السيد / المرجع السابق / ص 244 ـ 309 بتصرف

2 ـ ابن تيمية / مجموع الفتاوى /ج 9 / ص 309

فإذا كان القلب مشغولا بذكر الله عاقلا للحق مفكرا في العلم فقد وضع في موضعـه أما إذا لم يصرف إلى العلم ولم يودع فيه الحق ، فقد نسي ربه فلم يوضع في موضعـه بل هو ضائع وسيضله الهوى عن معرفة الحق ، إما أن يشغله بفتن الدنيا ومطـالب الجسد وشهوات النفس ، أو يصده عن النظر في الحق منذ البداية ويصرفه إلى البـاطل الذي يتمثل في الهموم والأفكار المرتبطة بعلائق الدنيا وشهوات النفـس وفي الأهـواء المؤدية إلى هلاك النفس . 1

ثم إن القلب للعلم كالإناء للماء والوعاء للعسل يقول بعض السلف :(القلوب آنيـة الله في أرضه فأحبها إلى الله أرقها وأصفاها). 2
فالقلب إذا كان رقيقا لينا كان قبوله للعلم سهلا يسيرا ورسخ فيه العلم وأثر وثبـت وإن كان قاسيا غليظا كان قبوله للعلم صعبا عسيرا .

ولابد أن يكون مع ذلك القلب ذكيا صافيا سليما حتى يزكو فيه العلم ويثمر ثمرا طيبـا وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم وكان كالدغل في الـزرع إن لم يمنع الحب من أن ينبت منعه من أن ينمو ويزكو ويطيب . 3

----

1 ـ انظر / ابن تيمية / مجموع الفتاوى / ج 9 / ص 311
2 ـ ابن تيمية / المرجع السابق / ج 9 / 315
3 ـ راجع / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 313

وعليه ما يمكن استخلاصه من كلام ابن تيمية الذي أورده في موضوع المعرفة الفطرية القلبية كما جاء في كتابه الفتاوى ـ ما يلي :

ـ أن المعرفة بالله ـ كما يرى ابن تيمية ـ فطرية ، وأن الناس كلهم ـ من مسلمين وكفار ـ مفطورون على معرفة الله.

ـ أن وسيلة المعرفة عنده هي القلب الذي هو سيد الأعضاء والذي بصلاحه يصلح الجسد ، وبفساده يفسد الجسد . وأن القلب هو الذي يعقل الأشياء فإذا رغب الإنسان في العلم فإن القلب هو الذي يوجهه نحو الأشياء ابتغاء العلم بها مستخدما في ذلك وسيلتين هما: السمع والبصر فالقلب هو أداة المعرفة بالله وسائر الأعضاء كالخدم للقلب .

ـ كان من نتائج نظرة ابن تيمية للمعرفة القلبية بوجود الله أن جعل الدين نفسه أول ما يبنى من أصوله قائم بالقلب ويكمل بفروعه .

إن هذه المعرفة الفطرية مجملة تحتاج إلى تفصيل حيث يمده القرآن بما يرغب في معرفته أو بمعنى أدق فإنه يعمق هذه المعرفة وينميها ويفصلها ويوضح للسالك غايته وطريق الوصول إليها ، ثم يأتي دور الرسول فإن الإرادة لابد فيها من تعيين المراد وهو الله سبحانه وتعالى والطريق إليه هو ما أمرت به الرسل . فإذا التقى العلم بالله مع العمل بأمره فقد اجتمع منهجي النظر والعمل في أتم صورة ، فالعلم النافع إنما هو من علم الله بذه المعرفة يصل العبد إلى أفضل ما في الدنيا ، ولا يتم ذلك إلا بالعبادات المشروعة واتباع الطريقة الإيمانية المحمدية ، وعندما يجرب المؤمن معرفة الله في الدنيا ، فإنه يتطلع إلى أسمى الغايات الأخروية في الجنة .

تلكم هي أهم النقاط التي استخلصناها مما سبقت الإشارة إليه من كلام الشيخ ابن تيمية رحمه الله عند حديثه عن المعرفة الفطرية القلبية .

المصادر الذاتية (الإلهامية)

الإلهام هو حالة من الكشف والشفاف الروحي يصل إليها الإنسان الصالح المؤمن حقا فينكشف له بعض أمور الغيب في مقام تكريم الله له .

كما حدث لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ففي الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قـال: ((هـل ترون قبلتي ها هنا ؟ فوالله ما يخفـى علي خشوعـكم ولا ركوعـكم ، إني لأراكـم من وراء ظهري)). 1

يقول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث وتقرير دلالته :

(والصواب المختار أنه محمول على ظاهره ، وأن هذا الإبصار إدراك حقيقي خص بـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ انخرقت له فيه العادة) . 2

----

1 ـ البخاري في الصلاة / ص 418 / ومسلم في الصلاة /رقم 418/ ص109

2 ـ ابن حجر / الفتح الباري / ج1 /ص 613

وقال الشاطبي في الموافقات : (فهذا حكم من بنى على الكشف ... فلكل من كان من أهل الكشف والاطلاع أن يحكم بمقتضى اطلاعه وكشفه ، ألا ترى إلى قضية أبي بكر الصديق مع ابنته عائشة - رضي الله عنهما - فيما نحلها إياه ثم مرض قبل أن تقبضه قال فيه : ((إنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله ، قالت فقلت : يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية)) 1) 2 .

وكذلك الحديث الشريف الذي يبين أن في قلب كل مؤمن واعظ يأمره وينهاه بالترغيب والترهيب .

عن النواس بن السمعان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : ((ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبتي الصراط سوران ، وفي السورين أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وداع يدعو على رأس الصراط ، وداع يدعو من فوق الصراط ،فالصراط المستقيم هو الإسلام ، والستور حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله ، فإذا أراد العبد أن يفتح بابا من تلك الأبواب ناداه المنادي: يا عبد الله لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه ، تلجه والداعي على الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن)). 2

----

1 - الحديث أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الأقضية /ج2 / ص752

2 - أنظر / الشاطبي / الموافقات /ج4/ ص44 - 45

3 - الحاكم / المستدرك / ج 1 / ص37 /

وقال : (صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه) .

يستفاد من الحديث أن النفس إذا كانت طاهرة ، وبقيت الفطرة سليمة معافاة وجـدت لها وازعا قلبيا ، يتمثل في ذلك الإلهام القلبي ، الذي يقذفـه الله في بصـيرة المؤمـن المحتسب لله ، فيكون له عونا وهاديا على الصراط المستقيم .

وللتمييز بين الإلهام الموقظ للفطرة ، وبين نفث الشياطين ، هو أن يكون ذلك الإلهـام مطابقا لأمر القرآن و يه ، فيحصل التوافق بين الفطرة السليمة والإلهام .
والمؤمنون تتفاوت درجاتم ، بتفاوت نقاء فطرهم وقوة إيما م .

ويستدل ابن تيمية على ذلك بما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ـ رضـي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسـ ـ ـلم ـ أنه قال :
((مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ،كمثل الأترجة ريحها طيبة ، وطعمها طيب ، ومثـ ـل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها طيب ، ومثل المنافق الـذي يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة ،ريحها طيب ، وطعمها مر ،ومثل المنافق الـذي لا يقـرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريحها و طعم مر)) . 1

----

1 ـ أخرجه البخاري في الأطعمة / رقم 5427 /
ومسلم في صلاة المسافرين / رقم 728/ ص 244 .

وقد يقوى أحدهما بالآخر، أي الوعظ الملهم ، والقرآن الآمر الناهي كما قال تعـالى :
((نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء)) 1 .

قال ابن كثير في معنى الآية نقلا عن السدي : نـور النـار ونـور الزيـت حينمـا اجتمـــعا أضاءا ، ولا يضئ واحد بغير صاحبه .
كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا ـ أي الإيمان الفطري ـ فلا يكــون واحد منها إلا بصاحبه .
وقال في تفسير قوله تعالى : ((يهدي الله لنوره من يشاء)) .
أي يرشد الله إلى هدايته من يختاره .

قال بعض السلف هو المؤمن ينطق بالحكمة ، وإن لم يسمع فيها بأثر، فإذا سمع بـالأثر كان نورا على نور ، نور الإيمان الذي في قلبه يطابق نور القرآن ، كمـا أن المـيزان العقلي يطابق الكتاب المـ ل ،فإن الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط . 2

----

1 ـ الآية 35 / من سورة النور
2 ـ أنظر / ابن كثير / تفسير القرآن العظيم /دار إحياء التراث العربي / ط1/ 1405 هـ 1985 م / ج3/ ص 481 ـ 484

والإلهام في القلب يشمل الاعتقاد والعلم والظن ، كما يشمل أيضا العمـل والحـب والإرادة والطلب فإذا وقع في القلب ما هو راجح وأصوب ، مال القلب إلي أحدهمـا دون الآخر ، فهذا هو الإلهام .

(وقد يكون بدليل ينقدح في قلب المؤمن ولا يمكنه التعبير عنه وهذا معنى مـا فسـر بالاستحسان) . 1

وقد يلهم المؤمن المجتهد عند تكافئ الأدلة ، وتعذر ترجيح أحدها على الآخر ، فينقدح في قلبه نور يهديه إلى ترجيح حكم على آخر،وهذا مع حسـن قصـده وعمارتـه بالتقوى ، وفي الحديث عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أنه قال : ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)) ثم تلا قوله تعالى :
((إن في ذلك لآيـــــات للمتوسمين)) . 2

----

1 ـ ابن تيمية / شرح كلمات الشيخ عبد القادر / نفس المصدر / ص 23.

2 ـ انظر / تفسير الطبري / ج 14 / ص 31 ـ 32 .

هذا الإلهام الذي تحدث عنه ابن تيمية ، وبين ما كان له من اثر في توجيه القلب نحـو المعرفة الحقيقية .

نجد الإمام الغزالي يتحدث عنه ويتناوله في موضوع الحدس القلبي للحقـائق اليقينيـة مبينا أن النور الإلهي ، هو الذي يساعد القلب على حدس الحقائق اليقينية التي تعجـز عقولنا وحواسنا عن إدراكها .

ويفسر الغزالي هذا المعنى ، بأن هناك حقائق يقينية أعلى من مسـتوانا البشري ،ولا يدركها إلا من خلع عن نفسه رداء الدنيا والجسد ، وجـاهد لـيرقى إلى المسـتوى الروحاني العلوي ، حيث يقذف الله تعالى حينئذ في قلبه ذلك النور الإلهـي ، وتلـك النفحات الربانية التي تمثل الحقائق اليقينية .

فيؤكد ذلك بقوله :(....من ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبعث عن الجود الإلهي في بعض الأحايين ، ويجب التعرض له كما قال رسول الله ـ صلـى الله عليه وسلم ـ ((إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ، ألا فتعرضوا لها)) 1) 2

----

1 ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد / ج 10 / ص 233 /

وقال : (رواه الطبراني في الأوسط ، والكبير بنحوه ، وفيه من لم أعرفه ، ومن عرفته وثقوا)

2.ـ أنظر / الإمام الغزالي / المنقذ من الضلال / ص 333 ـ 335

ثم يواصل الحديث في موضوع المعرفة الحسية فيقول : (..من مارس العلوم يحصل له عن طريق الحدس قضايا لا يمكنه إقامة البرهان عليها ، ولا يمكنه أن يشكّ ، ولا يمكن أن يشرك غيره فيها بالتعليم , إلا أن يبدل الطالب على الطريق الذي سلكه ...) . 1

ومن هذا النص يتضح , أن الذي يشتغل بالعلوم يتوصل كذلك عن طريق الحدس إلى معارف كثيرة ، غير أنه لا يستطيع أن يبرهن عليها ، وهذه المعارف يصل إليها المرء عن طريق عقلي و علمي دارس .

كما أن الذي يحصل على هذه المعارف ، لا يستطيع أن يشك فيها ، لأن هذه المعارف الحدسية فيها اليقين المطلق .

وهكذا يشاهد الباحث على الحقيقة من خلال هذا النور المرسل من الله ، التأسيس المطلق للحقيقة التي تتمثل في معرفة الله تعالى .

لذلك يقول الغزالي:(...إن معرفة الله تحدث بواسطة هذا النور) . 2

----

1 ، 2 ـ الدكتور عبد الفتاح أحمد السيد / المرجع السابق / ص 333 . بتصرف

ويرى الغزالي أن القلب كالمرآة ، والعلم هو انطباع صورة الأشياء في المرآة ، ولا بــدّ أن تكون المرآة مجلوة حتى تستطيع أن تعكس بدقة حقائق العلوم ، ولا يتــم جــــلاء القلب إلاّ بذكر الله تعالى ، والإقبال على طاعته حتى يطمئن ويثبت ولولا ذلك لكــان اشد تفلتا وغليانا، قال عليه السلام :((قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليا ــا)) 1 وقال : ((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)) 2 .

يعطي مثالاً على ذلك ، فيقول : (...لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض ، يحتمــل أن يساق إليه الماء من فوقه بأ ار تفتح فيه ، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ، ويرفع منــه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ، ويكــون ذلك الماء أصفى وأدوم ، وقد يكون أغزر وأكثر ، فذلك القلب مثل الحوض والعلــم مثل الماء ، وتكون الحواس مثل الأ ار) . 3

(...وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أ ار الحواس ، والاعتبار بالمشــاهدات حتى يمتلئ علماً ، ويمكن أن تسد هذه الأ ار بالخلوة والعزلة ، وغض البصر ، ويعمــد إلى عمق القلب بتطهيره،ورفــع طبقــات الحجــب عنــه حــتى تنفجــر ينــابيع العــــــلم من داخله ...) 4 .

ومن هذه الأمثلة التي ساقها الغزالي ، يتضح أن القلب كلما كان اقرب إلى الله ، كــان أصفى ، وعندها يكون محلا للوعظ الملهم الذي يقذفه الله ــ ســبحانه وتعــالى ــ في قلب من يشاء من عباده .

----

1 ــ أخرجه احمد والحاكم وصححه من حديث المقداد بن الأسود .2 ــ أخرجه مسلم من حديث ابن عمر .

3 ، 4 ــ الغزالي / إحياء علوم الدين / ط 1 / د . ت / دار القلم / بيروت / ج 3 / ص3 ــ 19 . بتصرف

وعليه فخلاصة ما سبق من قول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ومن قول الإمام الغزالي :

أن كلا منهما يقرر باالنور الذي يقذفه في قلب من سبقت له الهداية فيـهتدي بواسطة ذلك النور إلى المعرفة اليقينية الحقيقية المتمثلة في معرفة الله تعالى .

ومن هنا يظهر مدى تأثير ذلك الإلهام ـ كما يسميه ابن تيمية ـ أو ذلك الحـدس ـ كما يشير إليه الإمام الغزالي ـ في القلب ليصل إلـى معرفة الله تعالى .

الفصل الخامس

" طبيعة المعرفة العقدية عند ابن تيمية "

المبحث الأول : نقلية

- الأدلة السمعية مقدمة على الأدلة العقلية .
- تقدم النقل لا يعني إهمـــــــال العقل .

المبحث الثاني : نقلية عقلية .

- العقل الصريح لا يعــارض النص الصحيح .
- الحواس و أثرها في المعــرفة النقلية العقلية .

نـقليـ ـة :

وأعني بها كل ما وصل إلينا عن طريق السمع من أخبار متواترة ، والمتواتر نقصد بـه ـ كما يعرفه علماء الحديث ـ أن ينقل الخبر أو الحقيقة العلمية جمع غفير مـن النـاس يستحيل تواطؤهم على الكذب . وإن كان بعض المتكلمـين يشـترطون في العمـل بالمتواتر أن يكون مؤسسا على المشاهدة والمعاينة . فقالوا: لا يجوز أن تكون معرفتنا بـه ـ تعالى ـ واقعة بالخبر لأن الخبر إنما يفضي إلى المعرفة إذا أخبر به خلق كثـير عـن مشاهدة. ويقول يقول ابن تيمية:ليس من شرط أهل التواتر أن يخبروا عن مشاهدة بل إذا أخبروا عن علم ضروري حصل العلم بمخبر أخبارهم ، وإن لم يكن المخبر به مشاهداً . ومن هذا يرى ابن تيمية أن الخبر المتواتر يعتبر مصدرا للمعرفة مستقلا عن المشـاهدة يؤيد ذلك بأمثلة وبراهين كثيرة . منها قوله : ولهذا كانت العدالة والفسـق تثبـت بالإستفاضة ، و يشهد بها بذلك , كما المسلمون كلهم أن عمرو بن عبد العـ ـ ـزيز كان عادلاً ، وأنّ الحجاج كان ظالماً ، والعدل و الظلم ليس أمراً مشاهداً بالظـاهر وكذلك من لا يعرف الطب و النحو ,إذا رأى ما تواتر عند أهل الطب والنحاة مـن علم أبقراط وجالينوس وأمثالهما والخليل سبويه ، علم أن هؤلاء علمـاء بـالطب و النحو , وإن لم يعرف هو الطب و النحو, وليست معرفة المخبرين بذلك عن المشـاهدة فالعلم بمخبر الأخبار ، يحصل إذا كان المخبر عالماً بالضرورة سواء كـان المخـبر بـه مشاهداً أو لم يكـ ـن . [1]

----

1 ـ أنظر / ابن تيمية / درء العقل والنقل /ج 8 / ص 40 ـ 44 .

فبعد أن بين ابن تيميه عدم إلزامية المشاهدة في قبول الخبر المتواتر، إذ يكفي في ذلك حصول الخبر عن جماعة مستفيضة .

بين بعد ذلك مساواة أهمية العلم بالتواتر والخبر ، لأهمية العلم بالمشاهدة فقال ... وهكذا العلم بصدق الصادق وكذب الكاذب يعلمه من جربه وباشره ضرورة و يعلمه من تواتر عنده في طريق الخبر و لذلك العلم بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان صادقاً معروفاً بالصدق لا يكذب ، متواتراً عند من لم يباشره.

وعليه يستخلص مما سبق أن ابن تيمية لا يرى فرقاً بين العلم بالمشاهدة والعلم عن طريق الخبر المتواتر صنف العلماء كتباً كثيرة ، وقدّموا فيها ما يدلّ على وجوب الاعتصام بالكتاب و السنة الشريفة المطهرة .

فإنه لما تواتر الخبر جاءتنا به الرسل الكرام عن الله سبحانه وتعالى من تشريعات سماوية ، وجب الأخذ بها دون الالتفات إلى غيرها ، لذلك كان عنده الطريق الوحيد للوصول إلى العلم اليقين وهو ما جاء به الرسول ، لأن الرسول بين الدّين (أصوله وفروعه) . 1

----

1 ـ انظر ابن تيمية / المرجع السابق / ص 42 ـ 46

وابن تيمية يرى أنّ القرآن الكريم ، هو الإمام الذي يقتدى بـه لذلـك يقـول:وأنّ الرجل لا يمكن أن يكون مؤمنا حتى يؤمن بجميع ما أخبر به الرسول إيماناً جازماً ليـس مشروطا بعدم المعارض , و أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعا لما جاء به الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالقرآن الكريم والسنة الشريفة همـا الحكـم في جميـع الأحكام الدينية الإعتقادية والعملية ، ويعتد بما كمرجع يجب أن تلجـأ إليـه سـائر الفرق المتنازعة في شأن العقائد .

ففي كتاب الله من فنون الأدلة ومتنوع البراهين المال الواسع للعقل يستطيع أن ينـهل منها دون أي تعثر أو ريب .

ويكفي أن يكون النص صحيحا عنده كي لا يعدل به شيئا آخر ، ولا يلتفت إلى مـا يعارضه من أقيسة نظرية أو مكاشفات صوفية أو غير ذلك من طرق المعرفة . [1]

ومن خلال هذا يستنتج أن طبيعة المعرفة عند ابن تيمية هي نقلية إ ذا تواتر الخبر مـن طرق صحيحة لا يرقى الشك إليها , وأن الأدلة السمعية مقدمة على الأدلة العقليـة للوصول إلى معرفة الخالق وإثبات اليقين وهذا لا يعني بحال من الأحـوال ، إهمـال الأدلة العقلية إذ هي متضمنة في الأدلة السمعية الصحيحة والتي لا تتناقض مها مطلقـا

----

1 ـ راجع / ابن تيمية / منهاج السنة / ج 1 / ص 82 ـ 90

وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ والقول كلما كان أفسـد في الشـرع كان أفسد في العقل . فان الحق لا يتناقض ، والرسل إنما أخبرت بحق . والله فطر عبـاده على معرفة الحق ، والرسل إنما بعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة .

نقليـة عقليـة :

وأعني بما حسب ما فهمته من عرض ابن تيمية لهذه المسألة : تقديم الخبر المتواتر المنقـول إلينا عما جاءت به الرسل عن الله تعالى ،وأن العقل يأتي بعد ذلك لخدمة النص (شـرحا وتذليلا، وتدعيما). فالعقل لا يعارض النقل أبدا ، فما ثبتت صحته نقلا اقتضى ثبوتـه عقلا لذلك يقول ابن تيمية في هذا الموضوع : (المنقول الصحيح لا يعارضه معقـ ـول صريح قط ...وقد تأملت ذلك في عامة متنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصـوص الصحيحة الصريحة ... شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بـالعقل ثبـ ـوت نقيضها الموافق للشرع) 1 .

(...وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد ، والصفـات ، ومسـائل القدر والنبوات ، والمعاد وغير ذلك . ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يقال أنه يخالفه ، إما حديث موضوع أو دلاله ضعيفة . فلا يصلـح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارض العقل الصريح ، فكيف إذا خالفه صريح المعقول) 2

----

1 ، 2 ـ ابن تيمية / موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

/ تق : محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد حامد الفقي

/م ط /المحمدية 1951 /ج1 / ص86 ـ 87 بتصرف

فمن هذا القول الصريح لابن تيمية الذي يزاوج فيه بين المنقـول الصحيح والعقـل الصريح والذي لا يهمل فيه العمل بالعقل ـ كما روج عنه المفترون ـ بـل يقـر بتلازمهما أما إذا اختلفا فذلك لعلة تكمن في فساد أحدهما ، بل يعتبر أن للعقل قدرتـه على الإدراك والتمييز ، وهو المرجع الأخير لإدراك الحقائق الثابتة ، وهو كذلك عنـده أصل النقل .

فيقول : (...إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو الظواهر النقليـة والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فأما أن يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بـين النقيضين ، وأما أن يرادا جميعا ، وأما أن يقدم السمع ، وهو محال ، لأن العقل أصـل النقل . فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو اصل النقل ، والقـدح في أصل الشيء قدح فيه)1 . فمن خلال هذا القول الفصيح لابن تيمية ، يمكن للبـاحث أن يدرك الدرجة المرموقة والمكانة السامية التي وضع ابن تيمية العقل فيها حتى جعلـه للنقل أصلا أي أنه لا يمكن معارضة أحدهما للآخر فقوة النقل تقتضي موافقة العقـل. لذلك فهو يقول : (فإذا تعارض النقل والعقل ، وكان الاثنان قطعيين ، فلا يكون مـن تعارض بينهما لكون الاثنين قطعيين ، فهما ملتقيان حتما . وأما إذا كانا ظنيـين فإنـه يقدم الراجح منهما على الآخر، إذ يمكن أن يكون أحدهما أكثر يقينا من الآخر ولـو كانا ظنيين . وأما في الحالة الثالثة التي يكون فيها أحدهما قطعيا والآخر ظنيا ، فـالقطع هو المقدم مطلقا ، وإذا افترضنا أن العقل كان قطعيا والنقل كان ظنيا ، فابن تيميـة في مثل هذه الحالة يقدم العقل لا لكونه عقلا ، بل لكونه قطعيا) . 2

1، 2 ـ ابن تيمية / المرجع السابق / ص 87 بتصرف

وابن تيمية حين يعطي الأهمية للعقل ، لا لكونه جوهرا قائما بذاته كما هو الشان عند الفلاسفة ، بل لكونه غريزة مستفيدة من الخبرات والتجارب الإنسانية ، تتسامى مكانتها حينما تكون قطعية الدلالة .

وابن تيمية يرى أن تقديم الدليل العقلي بشكل مطلق دون العلم والتأكد من كونه قطعيا هو خطأ فادح ، كما لا يجوز أن يرجح الدليل العقلي على الدليل النقلي في حال كون الاثنين ظنيين، بحجة أن العقلي يرجح لأنه عقلي .

وأرى من هذا الرأي أن ابن تيمية يقدم الدليل العقلي تارة ،والسمعي أو النقلي تارة أخرى . فأيهما كان قطعيا قدمه على الآخر ، إذ أن الغاية القصوى التي يرجوها من الأدلة مهما كان نوعها هي الوصول إلى الحق الذي لا ريب فيه ، وهو معرفة الله سبحانه وتعالى . [1]

وابن تيميه حينما يتحدث عن دور العقل لا يريد أن يحمله أكثر من طاقته وخارج مجاله فهناك أمور تجري في النفس لا سبيل للعقل إليها .

----

1 ـ راجع / ابن تيمية / موافقة / ج1 /ص 47 .

وهناك قضايا يعجز العقل عن الخوض فيها وينبغي له أن يسلم بها ، ويعتبر عدم إدراكها – عند العقلاء – إدراك مثل: ذات الله تعالى وصفاته العلية وغيرها من الأمور الغيبية . وتلك الأمور لا مجال لاستشارة العقل فيها ، فهي موجودة ثابتة لا تحتاج لشهادة العقل بها ، أما العقل فما عليه إلا أن يقبل ما صح نقله إليه لأن المنقول الصحيح لا يعارض المعقول الصريح . فابن تيمية يضرب أمثلة رائعة يبين من خلالها ضرورة تسليم العقل للنقل المتواتر عن الرسل الكرام فيما جاءوا به عن الله تعالى . نذكر منها: إذا كان العقل يوجب على الإنسان أن ينقاد لأوامر الطبيب ويتبع ما أخبره به من مقدرات من الأغذية والاشربة ويتبع كيفية استعمالها على وجه مخصوص ، مع ما في ذلك من الكلفة والألم ، وكل ذلك لأن المريض يظن أن الطبيب أعلم منه ، ويعتقد أنه بتصديقه الطبيب ، يمكن أن يصل إلى الشفاء والتخلص من الألم ولكن الطبيب يخطئ ويصيب ويخطئ كثيرا ، ومن الناس من لا يشفى بما يصف الطبيب . بل قد يكون استعمال الدواء من أسباب هلاكه و مع هذا يقبل الدواء ويتبع أوامر الطبيب .فكيف حال الخلق مع الرسل الكرام ؟ والرسل صادقون لا يجوز أن يكون خبرهم على خلاف ما أخبروا به . فكيف يجوز أن يعارض ما لم يخطئ قط بما لم يصب في معرضة له قط.ويصل ابن تيميه من هذا إلى القول : بأن طاعة الرسل واجبة لأنم أعلم منا. و إن صادف أن الظن والاجتهاد يخالفان ما أخبر به الأنبياء فالانقياد للرسل لا للعقل الظنين . ذلك أن العقول متفاوتة المدارك مما يجعلها محل نزاعات وصراعات مختلفة ومتعددة ، فإذا قدم العقل والحال هذه، فإنه يتعذر الوصول إلى أمر متفق عليه .1

----

1 – أنظر / ابن تيميه / المرجع السابق / ص 82 – 89

أما إذا قدمنا الشرع على العقل ، فإننا نرتكز في ذلك على التسليم بأن الشرع هـو في نفسه قول صادق ، وهذه صفة لازمة له لا تختلف باختلاف أحوال النـاس ، والعلـم بذلك ممكن ، ورد الناس إليه ممكن .

ولذا جاء القرآن الكريم برد الناس إلي كتاب الله وسنة رسوله عند التنازع .

قال تعالى :((فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليـوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)) . 1

فالآية تدعوا إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه باعتبارهما الكفيلين بفض النـزاع بـين المؤمـنين .

وهكذا يوجب ابن تيمية تقديم السمع وبالتالي الشرع على العقل ، ذلك لأن بعـض الناس قد يعلم بعقله ما لا يعلمه غيره ، وقد يصعب عليه شرح بعض المعلومات لغـيره ولكن في الحقيقة ما يعلمه صريح العقل ، لا يمكن أن يعارضه الشرع أبدا لأن المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح .2

هي قاعدة جليلة يقررها ابن تيمية بعد فهم عميق لمراد الشرع الحكيم ومدى اهتمامـه بالعقل السليم ، إذ نجد في أكثر من آية توجيه النداء لذوي العقـول أو الألبـاب أو القلوب ، أو ما يقوم مقامها من الأساليب والألفاظ الداعية إلى النظر أو التأمل .

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

1 ـ الآية 58 / من سورة النساء .

2 ـ راجع / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 86 ـ 89

وإذا كان ابن تيمية ـ كما مر ـ يوجب تقديم الشرع علــى العقــل ، لأن ثقتــه بالشرع تنبع من استناده إلى قول الرسول الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ، ومع ذلــك فهو يسعى جاهدا للتأكد من صحة إسناد ذاك الخبر إلى النبي الكريم ، ويتــأكد مــن عــدم مخالفــته لصريح العقــل ، فهــو لا يقبل أي حديث يصل إليه ليتخــذ منــه دليلا ، حتى يتأكد من سلامته من العلل المؤدية إلى ضعفــه أو وضعه .

من ذلك يمكن بأن ابن تيمية لم يهمل العقــل في حســابه ، ولا الفكــر في دراســاته وأبحاثــه ، ولم يعمل على إخماد جذوة العقل في الإنسان ، بدليل أنه لم يقبل بالتســليم للمنقول إلا بعد إخضاعه للعقل الشرعي ولولم يركن إلى العقل لقبل كل الأحــاديث والنصوص ، دون إمعان نظر أو روية وتحقق .وكل ما في الأمر أن ابن تيمية لم يجعــل العقل حاكما على النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية الصحيحة . وأراد أن يكــون في ميزان الشريعة كتابا المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكــذا سنة رسوله الصحيحة ، بهذا لايمكن أن يقع تعارض بين العقل والنقل ، وخير دليــل على هذا ما قاله ابن تيمية بنفسه : (.. ونحن لم ندع أن أدلة العقل باطلة ، ولا أن مــــا به يعلم صحة السمع باطل ولكن ذكرنا أنه يمتنع معارضة الشرع بالعقل وتقديمه عليــه وابن تيميه يوضح موقفه من إشكالية تقديم العقل أو تأخيره عن النقل بأنها تكمــــن في قوة الدليل وقطعيته التي لا تسمح بالمعارض مهما كان نوعه ومصدره فهو يقول:

ما عارضه الدليل العقلي فليس هو عندي دليلا في نفس الأمر ، بل هو باطل . وهكذا ما عارضه الدليل السمعي فليس هو دليلا في نفس الأمر ، بل هو باطل .فحينئذ يرجع الأمر إلى أن ينظر في دلالة الدليل ، سواء كان سمعيا أو عقليا .فإن كان دليلا قطعيا لم يجز أن يعارضه شيء. وهذا هو الحق..) 1.

----

1 ـ ابن تيمية / الموافقة / ج1 / ص112 ـ 115

الحواس وأثرها في المعرفة النقلية العقلية :

يجعل ابن تيميه للحواس عموما قوة تحصيلية ، ووظائف متنوعة ، حيث تختص كل حاسة بنوع معين من الإحساس ، وإن كانت من جنس واحد لما بينها من قواسم مشتركة.

فيقول في ذلك :(...أما الشم والذوق واللمس فحس محض، لا يحصل إلا بمباشرة الحيوان لذلك فالثلاثة كالجنس الواحد فالجلود إن خصت باللمس ، لم يدخل فيها الشم والذوق ، إن قيل بل يدخل فيها عمت الجميع ، وإنما ميزت عن اللمس لاختصاصها ببعض الأعضاء وببعض المدركات وهو الطعوم ، والروائح . فإن سائر البدن لا يميز بين طعم وطعم ، وريح و ريح ولكنه يميز بين الحار والبارد واللين والصلب ، والناعم والخشن ، ويميز بين ما يلتذ به وبين ما يتألم به ... ...) 1

وابن تيميه وإن كان جعل بعض الحواس مشتركة الوظائف ، لكنه فاضل بينها كتفاضله بين السمع والبصر، وإن كان البصر في مجال الإدراك هو أفضل من السمع ، لكن السمع يحصل به العلم أكثر مما يحصل بالبصر ، وذلك يعود إلى كثرة عدد الذين يسمعون إذا قيسوا بعدد الذين يعاينون بأنفسهم أو يشاهدون .

وإذا كان البصر أقوى وأكمل ، فإن السمع أعم وأشمل ، ولأهميته قدم عن البصر في قوله تعالى : ((إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)) .2

---

1 ـ الدكتور :محمد حسني الزين / منطق ابن تيمية منهجه الفكري / المكتب الإسلامي / بيروت / ط 1 / 1399 ـ 1979 م / ص 155 ـ 164 بتصرف

2 ـ الآية 36 / من سورة الإسراء .

يستنتج من ذلك أن ابن تيميه يجعل الحواس من وسائل تحصيل المعرفة ، بما تقف عليـه من دلائل القدرة الإلهية وبديع صنعها في المخلوقات التي تدل علـى عظمـة الخـالق سبحانه وتعالى .وهو بذلك لا يجعل الأمر وقفا عليها ،بل لابد مـن إشـراك العقـل والتجربة في تقرير تلك المعارف وسبل تحصيلها .

ويضرب مثلا على ذلكبأن عامة الناس قد علموا أنّ شرب المـاء يحصـل معـه ريّ وقطع العنق ، يحصل معه الموت ، والضرب الشديد يوجب الألم .

هذه القضايا هي حسية تجريبية , فإن الحس يدرك ريا معينا , و موت شخص معين .

وهنا ينفرد الحس بعلم هذه القضية , إذا تعلقت بشخص واحد بالذّات ، وانحصـرت الحالة به دون غيره من الناس .أما إذا أردنا أن نعمم هذه الحالة على كل من يحصل لـه ذلك ، لنعرف نتيجة ما يصير إليه ، فإن هذه القضية لا تدرك بالحس وحده ، بل بمـا يتركب من الحس والعقل . فإذا كان قطع عنق فلان من الناس قد تسـبب في موتـه قضية مدركة في الحس لأنا تجريبية محسوسة ، فالقـول بأن كـل من يقطع عنقـه يموت هي قضية لا تدرك بالحس وحـده ، بل بالحس والعقل . واشتراك الحـس في تكوين هذا العلم يسبق العقـل ، أو هو الخطـوة الأولى في طريق تكوينـه .

فيجب أن نعلم بحواسنا حالة معينة ، سببت نتيجة معينة لنعلم بعد ذلك بعقولنا أن كـل من يتعرض لمثل هذه الحالة تصيبه نفس هذه النتيجة .

وقد سمى ابن تيميه مثـل هذه الحـالة بقـياس الأولى ، وسـيأتي الحـديث عنـه في محلـه . ويبن ابن تيميه بعد ذلك بأن الحـس المقـرون بالعقـل مـن فعـل الإنـسان كـالأكل والشرب وتناول الدواء يسمى تجريبيا . أما إذا كـان خارجـا عن قـدرته ، كتغير أشـكال القمر عنـد مقابلة الشمس فيسميه حدسيا .1

----

1 ـ ابن تيميه / الرد على المنطقيين / ص 93

والمقصود بالتجربة عند ابن تيميه ، هو ما جربه الإنسان بعقله وحسه ، وإن لم يكن مـن فعله وقدرته . فطلوع الشمس يوجب انتشار الضوء ، وغيابا ينشر الظلمة وابتعادهـا عن الرؤوس يجلب البرد ، إذا جاء البرد ، سقط ورق الشجر ، وبرد ظـاهر الأرض وسخن باطنها .

كلها مظاهر طبيعية ، جربها الإنسان عبر حياته المملوءة بالمشاهدات ، والمشـاهد والملاحظات والتجارب . فأصبحت معلومة ومشتركة بين جميع الناس الذين اعتادوهـا و أدركوها بحسهم وعقولهم .فحركت فيهم سواكن الفطرة المودعـة في تكوينـهم فانتبهوا إلى ما حولهم من المخلوقات ، فأعملوا فيها فكرهم ،وتدبروا فيها بعقولهـم وخالطوها بحواسهم ، واستخلصوا منها تجاربم . 1

فحصلت لهم قناعة بأن لهذا الكون الفسيح وما فيه ، إله واحد لاشريك له هـو رب السماوات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيء قدير .قال الله تعالى :

((أمّن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا بـه حدائـق ذات بجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها , أإله ّمع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعـل الأرض قرار وجعل خلالها أنارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا , أإله ّمع الله بـل أكثرهم لا يعلمون .أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكـم خلفـاء الأرض , أإله مع الله قليلا ّما تذكـرون , أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر، ومـن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته , أإله ّمع الله تعالى الله عما يشركون)) 2 **.**

----

1 ـ أنظر / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 160 ـ 162

2 ـ سورة النمل . الآية :61 , 62 , 63

الفصل السادس

" منهـــــــــــج ابن تيميه "

المبحث الأول : مناهج المتكلمين في التعامل مع:

الكتاب ، السنة .

(اعتماد البراهين العقلية في تأويل النصوص)

المبحث الثاني : منهج ابن تيميه في التعامل مع :

الكتاب ، السنة .

(الاستدلال بالآية ، والخبر المتواتر ، وقياس الأولى)

مناهج المتكلمين :

المتكلمون من معتزلة ،ومرجئة ،وشيعة ، وخوارج ، وأشاعرة كانت لـ ـهم منـهجهم الخاص في البحث ، والتقرير ، والتدليل ، يخالف من جهة منـهج القـرآن الكـ ـريم والحديث النبوي الشريف ، وأقوال الصحابة. ومن جهة أخرى تخالف مناهج الفلاسـفة في البحث والتقرير والتدليل .فأما مخالفتهم لمنهج القرآن الكريم ،فذلك لأن القـ ـرآن اعتمد في الدعوة على أساس فطري، فيكاد يكون كلّ إنسان مفطورا علـى الاعتقـاد بوجود إله خلق العالم ودبره ، ويكاد الناس بفطر م يجمعون على ذلك مهما اختلفـت أسماء الله الحسنى عندهم ، واختلفت صفاته ، يستوي في ذلك الممعن في البداوة والمغرق في الحضارة،وهذا ما يعجب له الباحث الاجتماعي ، إذ يرى إجماع القبائل ـ حتى التي لم تتصل بغيرها أي اتصال ، والتي لاتعرف من العالم إلا رقعتها من الأرض ، وغطاءها من السماء ـ على إله خالق ، إن اختلفوا فيه فخلاف في الأسماء أو الاختصاص ،فالقـرآن اعتمد على هذه الفطرة ، وخاطب الناس بما يحي هذه العاطفـ ـة وينميهـا ويقويهـا ،ويصلح ما اعتورها من فساد الإشراك ،وما إليه ، أدار الدعوة على هذا الأساس فـالله تعالى خلق الإنسان أحاطه ببيئته ينتفع ا في تسيير شؤون حياته ، كلما فيها مخلـوق لله تعالى ، وهو واهب الوجود لها كلها ، وواضع نظامها الذي لا تحيد عنه ،وغـ ـيره لا يستطيع إن يخلق ذبابا . قال تعالى : ((إ ن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابـ ـا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب مذ قدروا الله حق قدره إ ن الله لقوي عزيز) . 1

---

1 ـ الآية 71 ـ 72 / من سورة الحج .

ثم غذى هذه العاطفة الفطرية بطلب النظر في كل ما حولها ، فذلك سلم إلى قوة في دين ، وإيمان في يقين .

قال تعالى : ((فلينظر الإنسان إلى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا)) . 1

وقال تعالى : (فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق يخرج مـن بـين الـصلب والترائب انه على رجعه لقادر)) 2 .

وقال سبحانه : ((أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت) .3

وقال جل جلاله : ((وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبـاً فمـــنه يأكلون)) . 4

وقال عز من قائل : ((تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ، وجعل فيـها سـراجاً وقمرا منيراً)) . 5

----

1 ـ الآية 24 ـ 31 / من سورة التكوير

2 ـ الآية 5 ـ 8 / من سورة الطارق

3 ـ الآية 17 ـ 20 / من سورة الغاشية

4 ـ الآية 32 / من سورة يس

5 ـ الآية 61 / من سورة الفرقان

وسلك في الدعوة إلى التوحيد هذا المسلك ، فاستدل على ذلك بالمألوف من تنازع ذوي السلطة وما يؤدي إليه النزاع من فساد .

لقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) 1

وقال : (ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض) . 2

وهكذا سار أسلوب القرآن على هـذا المنـهج في إثبـات قدرتـه وعلمـه ، وهـذا الأسـلوب, يساير الفطرة ويغذيها ويشعر كلّ إنسان في أعماق نفسه ، بالاسـتجابة له والإصغاء إليه ، وهو منهج يوافق العامة ، وهم السواد الأعظم في كل أمة وفي كـلّ جيل كما يناسب الخاصة وهم الأقلون دائماً .

فنظرة العامي إلى قوله تعالى : ((فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق)). 3

تثير فيه إيماناً ساذجا بعجيب القدرة ، كما أن نظرة البيولوجي ـ عـالم الحيـاة ـ إلى منشأ الإنسان وخلقه ، تثير عجبه وإعجابه ، وحيرته دائماً ، وإيمانه العميـق بخـالق الكون ، إلا قليلا ممن ختم الله على قلوبهم ، وأغشى بصيرتهم . ونظـرة العـامي إلى السماء ، وتلألؤ نجومها ، تبعث عنده الإيمان بمدير هذا الكون وعظمتـه ، والفلكـي بمعرفته الواسعة لحركة النجوم وسيرها ونظامها ، وأبعادها ، أقدر على معرفة العظمـة وأشد إعجاباً بخالقها ومديرها .

ـــــــــــــــــــــــــــ

1 ـ الآية 22 / من سورة الأنبياء

2 ـ الآية 92 / من سورة المؤمنون

3 ـ 5 ـ 6 / من سورة الطارق

وهكذا الشأن في جميع أصحاب التخصصات العميقة والدراسات العلمية الموضوعيـ ـة المتجردة من الأهواء ، ونوازع الذات فهم يتأثرون ذا المنهج الرباني ، على اختـ ـلاف في استعدادا م ومداركهم ، و عواطفهم وعقولهم . فالقرآن لا يؤلف برهانه تـ ـأليف المنطقي ، من مقدمة صغرى وكبرى ونتيجة ، ولا يتعرض لألفاظ الفلسفة ، من جوهـ ـر وعرض ، ونحوهما ، ولا يحددهما ، ولا يثير المشاكل العقلية ويفصلها ويبني عليهـ ـا ، لأن الدين لم يأت للفلاسفة وحدهم ، ولا للعلماء وحدهم ، فالفلسفة والعلم حـ ـظّ أقـ ـل عدد من الناس .

إنما اعتمدالقرآن على الفطرة والعاطفة وهما قدر مشترك بين الناس جميعـ ـاً ، فمـ ـن ثمّ كان ممن آمن علماء ، وفلاسفة ، وغيرهم ، ولو اتبع الدين سبيل علم المنطـ ـق ، فمـ ـا آمن معه إلا قليل .ولكن جاء في القرآن آيات متعددة المطالب ، منها ما يـ ـدل علـ ـى الجبرومنها ما يدل على الاختيار ، فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات ومـ ـا ترمـ ـي إليه ، وبالإضافة إلى الآيات التي تثبت لله وجها ، ويدا ، وتعبر عنه بأنه في الـ ـسـ ـماوات وفي الأرض لقول عز وجـ ـل :((آمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فـ ـإذا هي تمور)). 1 وتذكر أن له عرشاً : ((ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)).2 ((الرحمن على العرش استوى)). 3

فكيف يتفق هذا وما ورد في القرآن من التـ يه . فهذه آيـ ـات وغيرهـ ـا ممـ ـا ورد في القرآن ، سميت بالمتشا ات ، كانت مجال البحث والنظر،يختلف فهمها باختلاف منـ ـهج السلف عن باقي مناهج المتكلمين من السلمين ،والتي سأتعرض إلى ذكر بعضها بإيجاز.

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _

1 ـ الآية 16/ من سورة الملك

2 ـ الآية16/ من سورة الحاقة

3 ـ الآية 04 / من سورة طه

منهج السلف في المتشابه من القرآن :

الأولون من المسلمين ،آ منوا ا وصدقوها من غير بحث كثير و لا جـــدال طويـــل فهموا هذه الآيات فهما مجملا واكتفوا به .

وكان كثير من ذوي العقول الراجحة في العصر الأول ، يرى أ ن الدخول في تفصيـل هذه المتشا ات, والجدال فيها ليس من مصلحـة المـسـلمين ،ولا يـستطيع فهمـه جمهورهم ، فأولى أن يكتفى فيها بالمعنى الإجمالي من غير خوض ، وأن يكتفـي العـــالم واسع النظر ، عميق الفكر بما يرشده إليه عقله لنفسه دون الجمهور من الأمة ، فقـــد قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قول الجارية التي كـانت تعتقـــد أن الله في السماء لأن عقلها لا يقوى على أكثر من ذلك ، وروي عن علي ـ رضي الله عنـه ـ أنه قال : (حدثوا الناس بما يفهمون ،أ ن تريدون أن يكذب الله ورسوله).

وجاء من بعدهم قوم ساروا على هذا النحو ، فقد روي عن الوليد بن مسلم أنـــه قال: (سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن الأخبار الـتي جاءت في الصفات ـ يعني صفات الله ـ فقالوا: (امروها كما جاءت بلا كيف) . 1

---

1 ـ أبو زهرة / تاريخ المذاهب الإسلامية/ دار الفكر العربي / ط / ص 180

وسئل ربيعه الرأي في قوله تعالى: (الرحمان على العرش استوى) .كيف استوى ؟ فقال : (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق).وروي عن مالك بن أنس أنه سئل : كيف استوى ؟ فأطرق برأسه ثم قال : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) .فهؤلاء العلماء من السلف الصالح رأوا ، الوقوف عند ما جاء في الدين ، من غير تفسير ، ولا تأويل ، وذلك لأحد السببين :

الأول : إما لأن هذه البحوث لا تصلح للعامة من الناس لما يسببه لهم من افتتان في دينهم .لأن ما يتعلق بالله وصفاته ، هو شيء وراء العقل ، لا يمكن أن يصل إليه الإنسان ، إلا بأن يقيس الله على نفسه ، وذلك خطأ كبير ، فالأولى أن نقف على ما ورد فيه النص من غير سؤال ، بكيف؟ ، وأين ؟ .1

وقد استمرت هذه المدرسة إلى العصر العباسي وبعده ، فكان إمامهم في العهد العباسي : أحمد بن حنبل وفي العصور بعده ابن تيمية .أمّا طريقة المتكلمين وشيوخهم ، فهي تغاير هذين الأصلين ، فهم آمنوا بالله ، وما جاء به رسوله ثم أرادوا أن يبرهنوا على ذلك بالأدلة العقلية والنظرية ,فنقلوا الوضع من فترةوعاطفة ومخاطبة لهما بالنظر في آيات الله ، إلى دائرة العقل والتفكير ، فمن فن جميل ، إلى علم ومنطق ، ومن قلب إلى رأس ، فبدلاً من أسلوب القرآن في نحو قوله تعالى :

((أفي الله شك فاطر السماوات والأرض)) وضعوا طريقتهم في حدوث العالم ، واضطر بعضهم إلى القول بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ ، أو إقامة الدليل على حدوثها إلى أن يصلوا إلى إثبات الله تعالى

وهكذا سلكوا هذا السبيل في إثبات وحدانية الله ، وسائر صفاته وكانت كل خطوة من هذه الخطوات ، تثير أسئلة وجدلاً ، وتفتح موضوعات جديدة ، فساروا فيها إلى نهايتها .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى أنهم لم يقنعوا – كما قنع غيرهم – بالإيمان بالمتشابهات جملة من غير تفصيل . فجمعوا الآيات التي قد يظهر بينها خلاف ، كالجبر والاختيار وكالآيات التي تظهر منها الجسمية ، وسلطوا عليها عقولهم ، فأداهم النظر في كل مسألة إلا رأي .

وإذا وصلوا إليه ، عمدوا إلى الآيات التي يظهر أنها تخالف الأولى فأولوها ، فكان التأويل من أهم مظاهر المتكلمين ، فإذا أداهم البحث إلى أن الإنسان مختار أولوا آيات الجبر ، وإذا أداهم البحث إلى أنّ الله منزّه عن الجهة والمكان أولوا الآيات التي تشعر بأنه تعالى في السماء .

وهكذا ، فالتأويل عند المتكلمين يعتبر من أهم العناصر ، ومن أكبر المميزات بين منهجهم ، ومنهج السلف . وطبيعي أن هذا المنحى في التأويل ، وإعطاء العقل حريته في البحث والنظر ، واتجاهه إلى أي جهة يراها ، يستلزم اختلافاً كبيراً ، فإن أدى النظر قوماً إلى الاختيار ، وتأويل آيات الجبر ، قد يؤدي النظر عند غيرهم إلى إثبات آيات الجبر ، وتأويل آيات والاختيار .

هذان الأمران ـ أعني الاعتماد في البراهين على العقليات والتـأويل ، هـما اللـذان يعللان ما استفاض في عصور المتكلمين من خلاف ، ومن أقوال لا عـداد لهـا ، ولا حصر لها ، مما لم يكن معروفاً في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلّـم ـ ولا الـصدر الأول .[1]

ويظهر أن الذي دعا إلى هذا التحول ، أمران :

الأول : هو أن أوائل المتكلمين قد دخلوا في حوار عميق ، مع أقوام من مختلف الملـل والنحل (يهودية ، نصرانية ، ووثنية) وكانت قد تفلسفت عقولهم ، وهؤلاء لم يكفهـم في الإقناع أن تذكر لهم آية من القرآن أو حديثاً ، بل يريـدون الرجـوع إلى قضايـا تستند إلى قدر مشترك من العقل ، فدفع ذلك المتكلمين إلى محاكا م ، والدخـول في منهجهم ، وأن يسلكوا سبيلهم ، فيؤلف الأدلة العقلية على وجود الله تعالى .

الثاني : ما في طبيعة كل أمة تتمدن من انقسام إلى محافظين وأحرار في السياسة ، والعلـم والفلسفة ، والدين . فالمحافظون في الدين رأوا الوقوف عند النص ، وعدم الـخروج قيد أنملة عما صرح به ، والنطق بما نطق به في حدود ألفاظه ، والسكوت عما سـكت عنه .والأحرار لا يريدون الوقوف عند ظاهر النصوص بل يعملـون فيـها عقولـهم ويصرحون بما يؤديهم إليه رأيهم ، ويأولون ما يخالفه ، فكان الخلاف بينهم في أصـول الدين ، شبيها بينهم في الفروع ، من أهل الحديث (وهم يمثلون المحافظين) ، وأهـل الرأي (وهم يمثلون الأحرار) .

---

1 ـ أنظر هذين الكتابين لابن رشد :

ـ كتاب " فصل المقال فيما بين الحكمة ، والشريعة من الاتصال " .

ـ كتاب " الكشف عن مناهج الأدلة ، في عقائد الملـة " .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن طبيعة الخلاف بين منهج الفلاسـفة في الإلهيـات ، وبين منهج المتكلمين ، يرجع إلى أمور نذكر منها :

ـ أن المتكلمين اعتقدوا قواعد الإيمان ، وأقروا بصحتها ، وآمنـوا بهـا ثم اتخـذوا أدلتهم العقلية للبرهنة عليها ، فهم يبرهنون عليها عقليا كما برهـن القـرآن عليـها وجدانياً .

ـ أما الفلاسفة ، فهم يبحثون المسائل بحثاً مجرداً ، ويفرضون أن عقولهم خاليـة مـن مؤثرات ومعتقدات ، ثم يبدءون النظر منتظرين ما يؤدي إليه البرهان ، سائرين خطـوة خطـوة ، حتى يصلوا إلى النتيجة ، كائنة ما كانت فيعتقدونها .

وعليه فموقف المتكلمين ، موقف محام مخلص ، اعتقد صحة عقيدة وتولى الدفاع عنـها يصوغ لها من الحجج والأدلة ما يؤيدها ويثبت ما اعتقد من صحتها . وهذا ما أشـار إليه ابن خلدون في مقدمته عند قوله :

(...ونظر المتكلم في الوجود،من حيث أن يدل على الموجد... وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله ، إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع بحيث يمكـن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية...) . 1

ـــــــــــــــ

1 ـ ابن خلدون / المقدمة / ص 389 ـ 390 بتصرف

منهج ابن تيميه في التعامل مع : القرآن الكريم

ليس كل من ادعى اعتماد الكتاب والسنة في فهم أمر أو اقتباس حكم أو دعم رأيه ومذهبه في إثبات حقيقة من حقائق العقيدة ، موثوقا ولا مسلما برأيه ، حتى يوافق في اقتباسه أو استشهاده المنهج العلمي المسلم به في هذا المجال ، فقد يخالف هذين المصدرين وهو يظن أنه يوافقهما . ذلك أن فهم القرآن والسنة يأتي بالدرجة الأولى عن طريق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ابن تيميه : (فصل : ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث : إذا عرف تفسيره من جهة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء : الأسماء ثلاثة : نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والصيام . ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ، ونوع يعرف حده بالعرف ،كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله تعالى : ((وعاشروهن بالمعروف)) .[1])[2] . (فأما ما يعرف حده بالشرع فتفسيره من جهة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ولا يجوز معارضته بقياس أو رأي أو معقول كما اتفق على ذلك الصحابة والتابعون فقد كان من أعظم ما أنعم الله عليهم به اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ، أو بذوقه أو بمعقوله أو بقياسه ولا بوجده).[3] (فكان القرآن هو الإمام يقتدى به)[4]

فإما أن يفسر القرآن بالقرآن والسنة ، وإما بالسنة ، فإذا توافرا لم يقدم عليهما شرح .

---

1 ـ الآية 19/ من سورة النساء

2 ـ ابن تيميه / مجموع الرسائل الكبرى /رسالة الفرقان / ج1/ص19

3 ـ نفس المرجع السابق / ص 20

لذلك إذا عدنا إلى منهج ابن تيميه في تفسيره للقرآن الكريم ، نكون قد فـهمنا آراءه في مجمل الصفات والعقائد التي استخلصها من خلال تعامله مـع كتـاب الله تعـالى فإدراكنا لمنهجه في التفسير يعد جزءا مهما من منهاجه العام الذي تميزت بـه عقيدتـه السلفية ، والذي يتجلى لنا من خلاله مدى حرصه على تتبع آثـار السـلف خطـوة خطوة .

ذلك لأن اعتقاده في الصحابة الذين التقوا بالرسول وعاشوا معه ، هو اعتقاد راسـخ فالصحابة هم الذين اخذوا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وتعلموا منه وشـهدوا قرائن الوحي بين يديه ، فقد بين ابن تيمية حرص هؤلاء الصحابة على تعلـم الآيـات وفهمها وتمحيصها و تطبيقها بقول : (قال عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كـانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنم كانوا إذا تعلمـوا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها ، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل) . 1

مما سبق ذكره يتبـين أن ابن تيمية - رحمه الله - يثق بتفسير الصحابة الذين أخـذوا العلم عن النبي ، وبالتابعين الذين ورثوا ذلك العلم عن الصحابة ، وسوف يورثونه لمـن جاء بعدهم ، ويرى ذلك هو الطريق القويم ، والمنهج السليم ، في التعامل مع القـرآن الكريم لأنه يمثل منهج أهل السلف الأوائل الذين كانت لهم فرصة الإطـلاع المباشـر على العلم وأخذه من النبي - صلى اله عليه وسلم - فهم أحرى بالاتباع من غيرهم .

----

1 - الدكتور محمد حسين الزين / المرجع السابق / ص 268 بتصرف

وحرصاً من ابن تيمية على هداية الناس لهدي رسول الله ، وخوفاً عليهم من الضـلال والبعد عن المنبع الصحيح للعقيدة السمحاء ، فقد جعل التفسير طبقات ومراتـب في العلم بعضها فوق بعض ، وصنف المصادر التي بوسع الناس استقاء تفسيرهم وعلمـهم منها ، وجعلها متفاضلة بحسب ثقة الناس بها فجعل أولاها وأعلاها :
(تفسير القرآن بالقرآن) فهناك بعض الآيات القرآن الكريم التي يغمض فهمها, نراهـا مفصلة في آيات أخرى ، وما كان مختصراً منها في موضع ، قد يوضح في موضع آخـر وهذا الطريق (أي تفسير القرآن بالقرآن) هو في أعلى المراتب لأنه تفسير الله لكلامه

لذلك قال الحافظ محمد بن عبد الهادي :(... قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق وكـان من أصحاب الشيخ ـ ابن تيمية ـ أنه لما حبس في آخر عمره كتبت له أن يكتـب جميع القرآن تفسيراً مرتباً على السور ، فكتب يقول : إن القرآن فيه مـا هـو مبـين بنفسه ، وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب ، ولكن بعض الآيات أشكل تفسـيرها على جماعة من العلماء فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيـرها . وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً ، ويفسر غيرها بنظيره .فقصدت تفسـير تلك الآيات بالدليل لأنه أهم من غيره . و إذا تبين نوع آية تبينت معاني نظائرها .
وقال : قد فتح الله علي في هذه المرة (من مرات الاعتقال) من معاني القرآن ، ومـن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونا ، وندمت على تضييع أكثر أوقـاتي في غير معاني القرآن ، أو نحو هذا ...) . 1

ـــــــــــــــــ

1 ـ د. محمد حسين الزين / المرجع السابق / ص 269

من خلال هذا العرض يمكننا القول بأن ابن تيمية - رحمه الله – لم يحاول تفسير القـرآن كله وإن كان فهمه برمته ، وأن ما فسر منه ، وإن كان قليلاً بالنسبة لمموع القـرآن إلا أنه يوضح منهجه السلفي فيه ، كما هو شأنه في سائر العلوم التي اشتغل ـا ، ولا يرى تفسير الكتاب بالرأي الذي لا يسنده حديث أو قول مأثور . لذلك فهو يقـول : (فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام) . 1

يذكر أحاديث كثير تدعم وجهة نظره في عدم الاعتماد على الرأي وحده في التفـسـير نذكر منها :عن ابن عباس ،أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ((من قـ ـال في القرآن بغير علم ، فليتبوأ مقعده من النار)) . ((وعن جندب انه قال : من قـال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)) أي أنه لم يأت الأمر من بابه .

وبعد أن ذكر آثار كثيرة في الموضوع قال في مقدمته في أصول التفسير : (فهذه الآثـار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف ، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسـير بما لاعلم لهم به . فأما من يتكلم بما يعلم من ذلك ، لغة وشرعا فلا حـرج عليـ ـه ، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ، ولا منافاة ، لأنم قد تكلموا فيمـ ـا علموه ، وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد .فإنه كما يجب السكوت عما لا علم للمتكلم به ، فكـذلك يجب القـول فيما سئل عنه مما يعلمـ ـه لقـ ـوله تعالى:

((لتبيننه للناس ولا تكمونه)) ولما جاء في الحديث : ((من سئل عن علم فكتمه ألجـم يوم القيامة بلجام من النار) .2

ـــــــــــــــــــــــــــــ

1 ـ ابن عبد الهادي / العقود الدرية / ص27

2 ـ ابن تيمية / مقدمة أصول التفسير / ص50 ـ 55

ولعل حرص ابن تيميه على عدم الخوض في التفسير ، بدون علم ، ودون الاستناد إلى أثر، يعود إلى خوفه على المفسرين من الوقوع في الخطأ أو تفرق الأمة ، نتيجة للتفسيرات الخاطئة. لذلك يقول : (من هؤلاء قوم اعتقدوا معاني ، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها . ومنهم قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمخاطب به ، ومن ثم كان خطأهم وضلالهم جميعا في كثير مما ذهبوا إليه) . 1

و عليه فابن تيميه لم يفسر القرآن كله ، ولكنه وضع مجموعة تفسير تعتبر في نظر بعض العلماء تفسيرا لبعض سور القرآن ، ومناظرة لعلماء الكلام . المؤولة لآيات الصفات والمعطلة لمعانيها اللغوية والشرعية ، أمثال الجهمية و المعتزلة والقدرية كما أنها توفيق بين صحيح المنقول وصريح المعقول . وقيمة المجموعة تكمن في أنها كتبت في خلوة الشيخ بسجنه وهو منعزل عن الناس ، وتتالف هذه المجموعة من ست سور هي الأعلى الشمس ، الليل ، العلق ، البينة ، والكافرون . 2

---

1 ـ الشيخ محمد بهجة البيطار /حياة شيخ الإسلام ابن تيميه /ط 2/بيروت / ص127 ـ بتصرف ـ

2 ـ وقد طبعت في الهند مع مقدمة باللغة الإنجليزية كتبها عبد الصمد شرف الدين ، ويبلغ عدد صفحاتها 480صفحة عدا الفهارس . وكان للمقدمة التي وضعها السيد عبد الصمد شرف الدين ، الأثر الكبير في تبيين ما أبهم منها ، وتفصيل المجمل بما أضافه عليها من توضيحات يقتضيها البحث . كما خرج الأحاديث وترجم للأعلام ، وذكر ما اشتهروا به مع تواريخ وفياتهم ، وقد طبع شرف الدين هذه المجموعة ، وجعل في رؤوس الصحائف اليمنى أسماء السور المفسرة . وفي اليسرى خلاصة ما تضمنته تلك الصحائف من مباحث ، وفي الشواهد القرآنية أسماء سورها ، وأرقام آياتها ، وبين كل بضعة أسطر من الأصل عنوان للناشر بما اشتملت عليه . وفي أول الكتاب فهرس عام لمباحث سوره المفسرة ، وفي آخره فهرس مفصل لأسماء الأعلام ، والفرق ، والكتب مع الإشارة إلى أرقام صحائفها مهما تكررت ، ويتلوا هذا الفهرس جدول الخطأ والصواب . وقد ظفر واضع المقدمة بهذه المجموعة كما يقول ، في كتاب (كواكب الدراري في ترتيب مسند إلى الإمام أحمد على أبواب البخاري) لابن عروة الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة 837 هـ . وهذا الكتاب محفوظ بخزانة دار الكتب المصرية تحت رقم 645 تفسير .

لقد علمنا من خلال ما مر أن ابن تيميه طبق منهجه في تعامله مع القرآن, وذلـ ـك في إثبات العقائد الدينية ، مثل: وجود الله تعالى ووجود صفات الكمال لـه ،وصلـ ـة العبد بربه وما يجب الإيمان به من القضاء والقدر إلى غير ذلك من العقائد الإيمانية الـتي استدل عليها من الكتاب والسنة ، وكان يميل إلى آراء السلف ويستأنس ا كثيرا .

و ذا المنهج القويم ، استطاع أن يبعد عن علم الكلام كـل دخيل مـ ـن الفلـسـفة وعناصرها وينتقد الفلاسفة والمتكلمين كما انتقد المناطقة . ويعتقد انـم أدخلـ ـوا في أصول الدين ما يخالف القرآن ، وما لم يأذن به الله ، وأوقعوا النـاس في إشـ ـكالات وضلالات جعلتهم يضلون عن سواء السبيل .

ويذكر أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد بين أصول الدين التي جاء ا كتـاب الله تعالى ، وقد دل الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية ، والبراهين اليقينية التي يعلمـ ـون ا إثبات ربوبية الله ووحدانيته .

وقد عرف ابن تيميه أصول الدين ـ من خلال ما أدركه واستوعبه من معاني القـرآن الكريم .

بقوله : (إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها ، ويجب أن تذكر قولا ، أو تعمل عملا كمسائل التوحيد ، والصفات ، والقدر ، والنبوة ، والمعاد أو دلائل هذه المسائل...) 1

وينتقد مواقف المعرضين عن كتاب الله وسنة رسوله الكـريم فيقـول : (... وهـؤلاء المغالطون ـ يريد المتكلمين من أصحاب الفرق ـ الذين أعرضوا عن القرآن وما فيـه من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا ـ إذا صنفوا في أصول الدين ـ أحزابـا يتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل ، وجنس العلم ، بكلام اختلـط فيـه الحـق بالباطل) . 2

يبدو لنا مما ذكره الشيخ ، أنه ينتقد بشدة المتكلمين الذين أسرفوا في التأويل ، وخلطـوا الحق بالباطل ، حتى أفسدوا على الناس عقائدهم .

لذلك فالتأويل عنده ، هو تأويل رجال السلف الصالح ، وهو التفسـير : أي بيـان المراد من النص القرآني أو نصوص الحديث ، وهـو تـأويل مقبـول لأن الصحابـة والتابعين كانوا على علم بتأويل القرآن الذي فهموه وفسروه كله ، ولا يجوز التوقـف وترك بيان معنى آية من آيات القرآن ، لأن الله أمرنـا أن نتدبـر القـرآن ونفهمـه والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يترك هذا من غير بيان للصحابة ، اللـهم إلا أن يقال أن الرسول كان لا يعلم معاني القرآن الذي أنزل عليه ، أو كان يعلمـها ولم يبلغها كلها مع أنه مأمور من الله بالتبليغ ، وكل ذلك غير معقول ولا منقول

----

1 ـ ابن تيميه / الموافقة / ج 1/ ص 13 / بتصرف

2 ـ ابن تيميه / معارج الوصول / طبع بالمكتب الإسلامي ، بيروت / ص 4 بتصرف

وأما النوع الآخر من التأويل الذي قال به كثير من الفلاسفة المسلمين والمتصوفة ورجال علم الكلام ، فهو أمر آخر غير النوع الأول ، إنه في اصطلاحهم الخاص كما يذكر ابن تيميه نفسه : (صرف اللفظ عن المعنى المدلول عليه ، المفهوم منه إلى معنى آخر يخالف ذلك) . 1

وهذا ضرب من التأويل لم يغب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإنه بين بنفسه كل موضع يجب فيه ترك المعنى الظاهري إلى المعنى الآخر المراد باللفظ وذلك لأنه : (لا يجوز عليه أن يتكلم بالكلام الذي مفهومه ومدلوله باطل ، ويسكت عن بيان المراد الحق . ولا يجوز أن يريد من الخلق أن يفهموا من كلامه ما لم يبينه لهم ويدلهم عليه) . 2

ويقول الشيخ إن في معالجة نصوص الأنبياء عند الفلاسفة .طريقتين :

(طريق التبديل وطريق التحريف ، أما أهل التبديل فهم نوعان :

- أهل الوهم والتخيل

- و أهل التحريف والتأويل) . 3

---

1 , 2 - ابن تيمية / موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول / ج 1 / ص 10 .

3 - راجع / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 11 .

ويشرح ابن تيمية أقوال أهل التحريف والتأويل ، و يقول عنـهم أنـهم يجتـهدون في تأويل أقوال الأنبياء إلى ما يوافق آراءهم بشتى أنواع التأويلات ، ويخرجون اللغة عـن طريقتها المعروفة ، ويستعينون بغرائب المجازة والاستعارات ، ثم إن عقـلاء المؤوين يعلمون أن أكثر ما يتأولونه لا يطابق المعنى الذي يريده الأنبياء من كلامهم ، ويحملـون الكلام أحياناً غير المقصود منه ، وقد يكون تأويلهم من باب دفع المعارض وحمـل اللفظ على ما يمكن أن يريده ، متكلم بلفظه ، لا مراداً لمتكلم به .1

ويرى ابن تيميه أن التأويل الذي لا يقصد به بيان مراد المتكلم ، وتفسير كلامه ، هـو تأويل كاذب . ويصل بعد ذلك ـ أي ابن تيمية ـ إلى المراد من لفـظ التـأويل في القرآن : (إن لفظ التأويل في القرآن يـــراد بـــه ما يؤول الأمـــر إليـه ، وإن كان موافـــقاً لمدلـــول اللفظ ومفهـــومه في الظاهر . كما يراد بـه تفسـير الكلام وبيـــان معناه وإن كـــــــــــان موافقاً له ، وهـو اصطـلاح المفســـــرين المتقدمـــين كمجاهد وغيره. ويراد به أيضـاً صرف اللفـــظ عن الاحتمال الراجح ، إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك . 2

ويذكر ابن تيميه أن لفظ التأويل ، الذي يعني صرف اللفظ عن الاحتمال الراجـح إلى المرجوح ، إنما يوجد في كلام بعض المتأخرين .

أما الصحابة والتابعون لهم ، وسائر أئمة المسلمين وغيرهم . فلا يخصـــون لفظ التأويل بهذا المعنى ، بـل يريدون بالتأويل المعنى الأول والثاني ، أي ما يؤول الأمر إليـه وإن كان موافقـاً لمدلول اللفظ ومفهومه في الظاهر ، وهذا هو المعنى الأول .3

1, 3 ـ أنظر / ابن تيمية / موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول / ج 1 / ص 4 ـ 5

2 ـ ابن تيمية / المرجع السابق / ص 5

أما الثاني للتأويل ، فهو تفسير الكلام , وبيان معناه و إن كان موافقاًله فالتأويل ـذا المعنى هو ما ارتضاه السلف ، وارتضاه ابن تيمية ، وأقره .

أما غير ذلك من أنواع التأويل ، فما هي إلا من أنـواع الضـلالات والتجـهيلات .

ويرى ابن تيميه أنه إذا كـان بعـض الناس لا يعلـ ـ ـم ولا يفـ ـ ـهم مـ ـا أراد النبـ ـي من كلامـ ـه ، وبعض الناس لم يسمع كثيراً مما قالـ ـه الرسـ ـ ـ ـول أو يشتبه عليه ما أراده ، فإن هذا لا يدل على نقـ ـص في كلام الأنبياء ورسالا م .

بل كلام النبي محكم ومقرون بما يبين مراده . وأهل العلم يدركون ذلك ، ويميزون بـين المنقول الصحيح ، والمعقول الصريح من جهة ، وبين النقل الكاذب المفترى من جهـ ـة أخرى.

كما أنم يعرفون أن الله تعالى أمر رسـ ـوله بالبـ ـلاغ المبيـن ، وهو أطوع النـاس لربه . فلا بد أن يكون قد بلغ بلاغاً مبيناً ، لا يعتريه تلبيس ولا تدليس . وليس مـ ـن حاجة إلـى الانسيـاق وراء التأويـ ـلات ، وتحميل الكلام غير المراد منه .

أما عن الآيات القرآنية ، التي ذكر الله فيها أنا متشا ات ، لا يعلـم تأويلـها إلاّ الله . يقول ابـن تيمية : إن الله تعالى نفى عن غيره علم تأويلها لا علم تفسـيرها ومعناهـا فإنه لما سئل الإمام مالك عن قول الله تعالى :((الرحمن على العرش استوى)) .كيـ ـف استوى ؟ قال الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنـ ـه بدعة .[1]

----

1 ـ أنظر / د. محمد حسني السيد / منطق ابن تيمية و منهجه الفكري / ص 168

فبين أن معنى الاستواء معلوم ، وأن كيفية الاستواء مجهولة .فالكيف المجهول هو من التأويل الذي لا يعلمه إلى الله ، وأما ما يعلم من الاستواء وغيره ، فهو من التفسير الذي بينه الله ورسوله . والله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن ، وأخبرنا أنه أنزله لنعقله . ولا يكون التدبر والتعقل ، إلا لكلام بين المتكلم مراده منه . وأما من تكلم بلفظ يحتمل معاني كثيرة ، ولم يبين مراده منها ، فهذا لا يمكن أن يفهم ولا أن يعقل .

وخلاصة قوله : فإن عامة الذين يزعمون أن كلام الله يحتمل وجوهاًكثيرة . فإن كلامهم باطل برأي ابن تيمية ، بل في كلامهم من الكذب في السمعيات نظير ما فيه من الكذب في العقليات .

ويؤكد بعد ذلك أن المعاني تتنوع بتنوع ما يتصل بها من الحروف والصلات كحرف الاستعلاء ، والغاية ، وواو الجمع ، أو ترك تلك الصلات ، وأن كلام الله مبين غاية البيان ، وعليه فلا حاجة إلى تأويل وحمل للفظ على غير ما يحتمل ، وليس هناك مشكلة اسمها التأويل ، تتطلب حلاً لها ، لأنه – أي ابن تيمية – يعتقد أن التأويل المبني على المجاز، والذي يدفع إلى الاعتقاد بالباطل هو بدعة لاحاجة للدين بها ، ولا يمكن قبولها .

والتأويل عنده بهذا المنحى هو عين الضلال والانحراف عن السنة والعقيدة الصحيحة ، وهو نفس الموقف الذي وقفه مالك والسلف الصالح من هذا التأويل عندما أجاب على سؤال الاستواء .

وعليه فهو يرى أن كل تأويل يريد معنى موافقا لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - يكون حقا ، وكل تأويل يريد معنى مخالفا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - يكون باطلا .

وينتهي البحث إلى أن مشكلة التأويل لم تعرض لابن تيمية ، ولم يجد من الآيات والنصوص ما يضطره إلى الاستعانة بالتأويل ، وانما هو عرض مشكلة التأويل ليفندها ويبين مغالطة المشتغلين بها ، ومدى مباينتهم لأصول التفسير الصحيح وفهم النصوص .

كما يمكننا أن نستخلص من ذلك كله بأن التأويل ليس من مميزات منهج ابن تيمية كما هو الشأن عند المتكلمين ، ذلك لأنه حذا في منهجه حذو منهج السف الصالح الذي حاول تجسيده بكل أمانة في بحوثه ومناظراته .

أما المتكلمون فلابن تيمية عليهم انتقادات كثيرة فيما يتعلق بمناهجتهم و طرق تعاملهم مع مختلف القضايا الأصولية كإثبات العقائد الدينية .

طرق الاستدلال عند ابن تيمية

إذا كان ابن تيمية يعرف الميزان العقلي بأنه تلك المعرفة الفطريـة الـتي زود الله ـ ـا الإنسان للتمييز بين المتماثلين والمختلفين ، فهو ـذا يعد ه منهجا يقينيـ ـا للمعـ ـارف البشرية ، لذالك ذكره الله لأهميته ودوره بعد ميزان الشرع المتمثل في القرآن الكـ ـريم قال تعالى : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقـوم النـ ـاس بالقسط) .1

وقد قسم طرق الإستدلال عنده ـ استنادا إلى القرآن الكريم ـ إلى قسمين أساسـ ـين وهما :

ـ الإستدلال بالآيات القرآنية

ـ الإستدلال بقياس الأولى

وقد كان هذا التنوع عند الشيخ نابعا من اعتقاده بأن طريقة الأنبيـاء في الإسـ ـتدلال على الله جل جلاله كانت بواسطة آياته وبواسطة قياس الأولى فكـانوا غالبـا مـ ـا يستعملون الآيات في الاستدلال على الله تعالى ، وإن استعملوا القيـاس كـ ـان الأولى دون اللجوء إلى التمثيلي منه أو الشمولي .

فلم يستعملوا القياس التمثيلي لأن الله تعالى غني عن المثيل والشبيه والنظير .

ولم يعمدوا إلى الشمولي لأن الله لا يجتمع وغيره تحت كلي يستوي أفراده فـ ـهو أي الله تعالى ليس كمثله شئ . 2

----

1 ـ الآية 25/من سورة الحديد

2 ـ د . محمد حسني الزين / المرجع السابق / ص 245

الاستدلال بالآيات القرآنية :

يبدأ ابن تيمية كلامه عن الآيات بالتفريق بينها وبين القياس ، فيذكر أن الآية هي العلامة ، وهي الدليل الذي يستلزم عين المدلول ، ولا يكون مدلوله أمرا كليا مشتركا بين المطلوب وغيره ، بل نفس العلم به يوجب العلم بعين المدلول. فكما أن الشمس آية النهار قال تعالى : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة)1 . نفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بطلوع النهار . ويذكر آيات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتأكيد على أن المدلول القرآني لا يكون أمرا كليا مشتركا بين المطلوب وغيره فيقول : (آيات نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفس العلم بها يوجب العلم بنبوته بعينه ، ولا يوجب أمرا مشتركا مع غيره) . 2

هذه الآيات التي نزلت في القرآن لتبشر بالنبي ، هي نفسها لتؤكد رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس معه غيره . والعلم بهذه الآيات يوجب العلم بوجود النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وكذلك الآيات التي تتعلق بالله سبحانه وتعالى فإن نفس العلم بها يوجب العلم بوجود الله تبارك وتعالى ، وهذا العلم لا يكون مشتركا بينه وبين غيره ، والعلم بكون هذا مستلزما لهذا هو وجه الدليل . ومن هذا المنطلق يكون مدار الاستدلال مبنيا على التلازم ، فكل دليل في الوجود لابد أن يكون مستلزما للمدلول ، وهكذا توجب الآية القرآنية العلم باستلزام المعين للمعين المطلوب وتكون كما يرى ابن تيمية أقرب إلى الفطرة من القياس المنطقي الذي ينتقل من الأحكام الكلية إلى الأحكام الجزئية .

---

1 ـ الآية 12 / من سورة الإسراء 2

2 ـ ابن تيمية / الرد على المنطقيين / نشر عبد الصمد شرف الدين الكتبي / ط د ت / الهند د نا / 1368 ه ـ 1949 م / 333 .

ويؤكد ابن تيمية أن القضايا الكلية إذا لم تعلم معينا ا بالتمثيل فإنا لا تعلـ ـم بغـيره . و ـذا يكون قد حصر العلم بالجزئيات لا بالكليات ، لأن الكليات لا تؤدي إلى علـ ـم بدون المعينات التي هي دائما جزئيات .

فإذا كان الإنسان تصور المعين أو الجزء ، فإن باستطاعته أن يتصور الكل الـذي هـو أعظم من الجزء ، وهذا من القضايا المدركة في الذهن إدراكا فطريـا مثل: إدراكنـا للأشياء المساوية لشيء واحد هي متساوية و الضدان لا يجتمعان و الكل أعظم مـن الجزء و البدن أكبر من اليد و السماء أعظم من الكواكب و ونحن نتصـور هـذه القضايا الكلية قبل أن تصبح موضوعة بشكل قضايا كلية . 1

وإذا قال أهل المنطق بأن حصول القضية الكلية في الذهن أمر بديهي وضروري مـن واهب العقل ، فإن ابن تيمية يؤكد إن حصول القضايا المعينة والجزئية في الذهن مـن واهب العقل هي أقرب ، والعلم إذا كان كليا فإنه ينشأ من العلم بالجزء ، ووجـود العام تابع لوجود الخاص .

ويرى ابن تيمية أن إثبات وجود الله يكون بالآيات ، وكل ماسوى الله من الممكنـات فهو مستلزم في وجوده لذات الله تعالى .ويمتنع وجود هذه الممكنات بدون وجود الله .

كما يرى أن الوجود المطلق لا تحقق له في الأعيان بل في الأذهان وليس مـن وجـود مطلق في الأعيان إلا للخالق وما سوى الله كله مستلزم في وجوده له. ثم إن الله يعلـم الكليات أنا كليات فيلزم من وجوده وجود العام المطلق فوجود هذا الإنسان يستلزم وجود الإنسان المطلق ، ووجود هذا الإنسان أيضا يستلزم وجود الإنسانية والحيوانيـة القائمة به ، وهكذا يكون العام المطلق تابع في وجوده لوجود الخاص ، وبـين هذيـن الوجودين تقوم علاقة لزومية لا غنى عنها .2

----

1 , 2 ـ أنظر / ابن تيمية / الرد على المنطقيين/ ص 154 ـ 155

(..والوجود المطلق يتبع في وجوده لله وهو المعين ، فإذا تحقق الوجود الواجب تحقق الوجود المطلق المطابق للمعين ، وإذا كان هناك من فاعل لكل شيء وهو الله تعالى فإنه يتحقق وجود الفاعل المطلق ، وإذا تحقق الغنى عن كل شيء تحقق الغنى المطابق وإذا تحقق رب كل شيء تحقق الرب المطابق وإذا تحقق الإنسان المطلق المطابق ، تحقق الحيوان المطلق المطابق..) . 1

معنى هذا الكلام ، لا وجود للمطلق إلا بوجود الرب المعين فجميع الموجودات القائمة بصفة مطلقة كالفعل والغنى ، والقدرة الإنسانية ، كلها تستمد وجودها من وجود الله و ذا يكون ابن تيمية قد أقام علاقة بين الوجود المطلق القائم في الذهن وبين وجود الله وطابق بين الاثنين واستدل على وجود المطلق من وجود الله ، وإذا قال أن المطلق يعني الكلي أو الكليات ، والله هو المعين القائم في الأعيان ، فيكون قد استدل على الكليات بالجزئيات وهذا الإستدلال يأتي في القرآن عن طريق الآيات التي تثبت الصفات الموجودة في العالم والمطابقة للوجود المطلق ، فإذا استحال الوجود بغير الله وكان هناك موجودات ، فإن هذه الموجودات دلالة على الله .

وهذه الآيات تدل على أن الله هو خالق الموجودات العينية ، وهو المعلم للماهيات الذهنية ، وكل ماهو موجود يعتبر آية نستدل ا على وجود الله ومستلزمة لوجوده ، ولا يعلم الرب من الوجود المطلق ، وإنما يعلم من آياته ، فإذا علم الإنسان وجود إنسان مطلق وحيوان مطلق لم يكن عالما بنفس المعين ، كذلك من علم واجباً مطلقاً وفاعلا مطلقاً لم يكن عالماً بنفس رب العالمين وما يختص به عن غيره .

---

1 ـ ابن تيمية / المرجع السابق / 154 بتصرف

وعليه فابن تيميه من خلال هذا الطرح يرى أن العلم بالمطلق لا يقودنا إلى معرفـة الله ، وإنما الاستدلال بالآيات يعلمنا بوجود الله ، فآياته تستلزم عينه التي يمنع تصورها مـن وقوع الشركة فيها والله دليل على لازمه ، ولا يتحقق شيء من الممكنات إلا مع تحقق عينه . وجميع المخلوقات ملزومة بنفس رب العالمين وهي دليل عليه وآية له ، أمـا إذا أردنا الاستدلال على الله بطرق قياس المناطقة البرهاني ، فإننا نصل إلى الأمر الكلـي المطلق الذي لا يتحقق إلا في الذهن ، وهذه البراهين المنطقية لا تقودنا إلى معرفـة الله فإن ما يثبتونه من واجب الوجود هو أمر كلي لا يختص بالله حتى يجعلوه مجرد الوجود مما سبق يتبين أن الآية تختلف اختلافاً كبيراً عن القياس الأرسـطي التمثيلـي منـه والشمولي ، لأن الله ليس كمثله شيء ، فالآية هي اسـتدلال بجزئـي علـى جزئـي لتلازمهما ، وليس ذلك من قياس التمثيل الذي يضع النظائر والأشـباه بـين الخـالق والمخلوق .وينتقل ابن تيميه إلى القول بأن الإستدلال بالآية بالجزئي علـى الجزئـي الملازم له وبالكلي على الكلي الملازم له والمطابق له .

وهنا يبرر الفرق بين الاستدلالين، فالاستدلال بالجزئي على الجزئي يوجـب وجـوده الوجود وعدمه العدم . بينما الاستدلال بالكل على الكل لا يوجب ذلك ، فإذا أردنا الاستدلال على نار معين بطلوع الشمس ، فإن من الواجب أن نقرن ظـهور هـذا النهار بطلوع الشمس كدليل ملازم لوجود النهار ، فإن طلعت الشمس طلع النـهار ،وإن لم تطلع الشمس لم يطلع النهار ومن هنا كان القول بأن الاستدلال بالجزئي على الجزئي يوجب وجوده الوجود وعدمه العدم ، ومن الاستدلال بالجزئي على الجزئـي : الاستدلال بظهور كوكب على ظهور نظيره ، والاستدلال بغروبه على غروب آخر .1

----

1 ـ راجع / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 156

ويقول أيضاً أن الاستدلال بظهور الثريا على ظهور ما قرب منها مشرقاً ومغرباً ويميناً وشمالاً من الكواكب هو استدلال بجزئي على جزئي ، فإن قضى به قضاء كلياً كان استدلالا بكلي على كلي ، وليس استدلالاً بكلي على جزئي ، بل بأحد الكليين المتلازمين على الآخر . 1

ويستدل ابن تيميه على بطلان الشيء ببطلان لازمه كما يستدل على ثبوته بثبوت لازمه ، فإذا كان اللازم باطلاً فالملزوم مثله باطل ، ومن هذا الاستلال يصل إلى أن المخلوقات مستلزمة لثبوت الخالق ولا يلزم من عدمها عدم الخالق لأن الدليل الذي يستلزم دائماً المدلول عليه يجب طرده ولا يجب عكسه .2

أي أن المخلوقات التي هي ممكنة الوجد ، لا يكون من شرط عدمها عدم موجدها ، بل وجودها يكون آية على موجدها وهو الله واجب الوجود

----

1 , 2 ـ أنظر / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 156 ـ 157

الاستدلال بقياس الأولى :

طريقة قياس الأولى التي سلكها ابن تيمية اقتداء بفعل السلف ، إنما تعتمد أساسا علـى القول : إن ما يثبت لغير الله تعالى من كمال لا نقص فيه فإنه ثابتا لله تعـالى بطريـق الأولى . وما ينـ ه غير الله عنه من النقائص والآفات ، فإن التـ ه لله أولى عـن كـل النقائص والآفات .أي أن جميع ما يتمتع به بنو البشر من صفات الرقـي والكمـال كالقدرة والإرادة والعلم وغيرها من صفات الكمال فالله سبحانه وتعالى أحق ا وأولى وقيس الأولى كان يسلكه سلف الأمة اتبعا للقرآن الكريم الذي دل على أن لله تعـالى من صفات الكمال مالا نقص فيها ، وهو أكمل مما علموه ثابتا لغيره مع فارق عظيـم بين التصورين قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .1

فكمال الله أكبر وأعظم من كمال غيره ولا وجه للمقارنة بين كمال الخالق والمخلـوق والعقل البشري يدرك الفرق بين حالين من الكمال يتميز ما مخلوقـان ،و يعلـم أن فضل الله على كل مخلوق هو أعظم من فضل مخلوق على مخلوق ، ويدرك أن ما يثبـت لله أعظم مما يثبت لغيره من المخلوقات فقياس الأولى يثبت أمرا الله تعالى يختص به مـع علمه بجنس ذلك الأمر . ويقول ابن تيميه أن قياس الأولى استعمله الإمام أحمد ومـن كان قبله وبعده من أئمة الإسلام ، وبمثل هذا القياس جاء القرآن في تقريـر أصـول الدين في مسائل التوحيد والصفات والمعاد .ويرى أنـه لا يجـوز في العلـم الإلهـي الاستدلال بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا بقيس شمول يستوي فيـه أفراد ه . فإن الله ليس كمثله شيء ، بل يجب أن يستعمل في ذلك قياس الأولى ، سـواء كان تمثيلا أو شمولا ، كما قال تعالى : ((ولله المثل الأعلى)) . 2

---

1 ـ الآية 11 / من سورة الشورى

2 ـ أنظر / ابن تيمية / الموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول / ج 1 / ص22 ـ 24

و بهذا القياس نعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه ـ وهو ما كان كمالا للوجود غير مستلزم للعدم ـ فالواجب القديم أولى به . كما أن كل كمال لا نقص فيه ثبت نوعه للمخلوق , فإن هذا الكمال قد استفاده من خالقه وربه ومدبره فهو أولى به منه وأحق .ويؤكد أن كل نقص وعيب في نفس هذا المخلوق ـ وهو ما تضمن سلب هذا الكمال ـ إذا وجب نفيه عن شيء ما من هذه المخلوقات والممكنات والمحدثات ، فإنما يجب نفيه عن الله تعالى بطريق الأولى .فالله أحق بالوجودية من كل موجود ، وأما الأمور العدمية فالممكن المحدث أحق بها . ويقرر ابن تيميه أن سائر الأقيسة المنطقية إذا استعملت في العلم الإلهي فإنها لا تقود إلا إلى الخطأ ولا يصل بها الإنسان إلى يقين فيقول : (لما سلك طوائف المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى يقين بل تناقضت أدلتهم وغلب عليهم الاضطراب والحيرة) .1

فبهذا القياس ، قياس الأولى الذي يعتمد على البراهين العقلية ، نستطيع الوصول إلى إدراك القدرة عند الله على الخلق ، ثم القدرة على القيامة وبعث الأجساد بعد فنائها

كما نستدل بهذا القياس على سائر الصفات التي يتصف بها الله تعالى وندرك بالبداهة العقلية أن خلق السموات والارض أعظم وأكبر من خلق الناس ، وقدرة الله في هذا الخلق أبلغ من قدرته على خلق البشر ، فيكون هذا الأيسر ـ أي خلق بني آدم ـ أولى بالإمكان من خلق ما هو أعظم وأكبر كخلق السموات والارض وكذلك القادر على أن يخلق من الشجر الأخضر نارا ، أولى بالقدرة أن يخلق من التراب حيوانا .قال الله تعالى:((أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم)) . 2

----

1 ـ ابن تيمية / الرجع السابق / ص 16

2. ـ الآية 80 / من سورة يس

فتكون الحيوان من الأجزاء والعناصر الهوائية والمائية ، أولى بالإمكان من تكون النـار من الشجر الأخضر .قال تعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) . 1

فبين سبحانه وتعالى أنه أخرج النار الحارة اليابسة من الشجر البار الرطـب .فـهو سبحانه الخالق لكل شيء ، وهو على كل شيء قدير .وكذلك فيما يتعلق بـ ـالتوحيد بين سبحانه وتعالى بواسطة قياس الأولى أن المخلوق لا يكون مملوكه شريكه في ملكـه أوماله ، ويمتنع أن يكون المملوك نظيرا للرب . والله لا يرضى أن يكون المخلوق شريكا يدعى ويعبد كما يدعى الله ويعبد .

كما بين الله تعالى بأنه أولى بأن يـ ه عن الأمور الناقصة من الإنسان فكيف يجعلـون لله ما يكرهون أن يكون لهم ؟ ويستحيون من إضافته إليهم ، ولا يـ هون الله وينفونه عنـه وهو أحق بنفي المكروهات عنهم .والله سبحانه وتعالى بعث الرسل الكرام بما يقتضـي الكمال من إثبات أسمائه صفاته على وجه التفضيل والنفي لكـل نقـص أو تمثيـل وصفاته تعالى في الكمال لا غاية فوقها ، فهو مـ ه عن كل نقص .والتـ يه كما يعرفـه ابن تيمية هو: نفي النقص ، ونفي مماثلة غيره له في كل صفات الكمال .ويـرى ابـن تيمية أن أسماء الله التي تتضمن صفاته ، ليست مجرد أسماء أعلام مثل العليـم والقديـر والسميع والبصير وسائر أسمائه ، فهو مستحق للكمال المطلق لأنه واجـب الوجـود بنفسه ، يمتنع العدم عليه ، ويمتنع أن يفتقر إلى غيره بوجه من الوجوه . إذ لو افتقـر إلىغيره لم يكن كماله موجودا بنفسه بل بذلك الغير .والرب بدون ذلك الكمال يعد ناقصا والناقص لا يكون واجبا بنفسه ، بل ممكنا مفتقرا إلى غيره . 2

----

1 ـ الآية 80 من سورة يـس

2 ـ راجع / ابن تيمية / منهاج السنة / ج 2 / ص 115

ويرى ابن تيميه أن كمال الشيء هو من نفسه وداخل فيه فالواجب بنفسه لا يكـون واجبا إن لم يكن ما هو في نفسه لا يفتقر إلى سبب منفصل عنه . فمتى افتقر مـا هـو داخل فيه إلى سبب منفصل عنه ، لم تكن نفسه واجبة بنفسه ، وكل ما هو ليس في نفسه لا يكون من كماله ، بل يكون شيئا مباينا له ، وهنا يحدث في ذات الله شيئان :
أحدهما واجب بنفسه ، والآخر شيء قرن به وضم إليه . ونفس واجب الوجود هـو أكمل الموجودات ، إذ الواجب أكمل من الممكن بالضرورة

وينظر ابن تيمية إلى الله جل شأنه وتبارك اسمه ، نظرة سلف الأمة وأئمتها بأن الله تعـالى بائن ومميز عن مخلقاته في أسمائه وصفاته يوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسـوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييـف ولا تمثيل . فهو يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص .

ويقسم ابن تيمية الصفات التي يوصف ا الله تعالى إلى صفات إثبات وصفات نفي .
ويرى أن هذين النوعين من الصفات يتضمنان المدح لذات الله وقدرته .
فالإثبات كإخبار الله في القرآن بأنه ((بكل شيء عليم)) 1 .
((وعلى كل شيء قدير)) 2 . والنفي كقوله تعالى :((لا تأخذه سنة ولا نـوم)) 3 .
وهكذا فإن عامة ما وصف الله به نفسه من النفي يتضمن إثبات المدح ، فنفي السـنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام .4

ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

1 , 2 , 3 ـ الآية 231 / 255 / 259 / من سورة البقرة
4 ـ راجع ابن تيمية / الفرقان بين أولياء الرحمان و أولياء الشيطان /
ط 2 / المكتب الإسلامي / بيروت / ص 97

كما يقرر ابن تيمية أن كل نفي للصفات عن الله تعالى ، لا يستلزم ثبوتـا هو ممـا لم يصف الله به نفسه .فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب أي الذين قالوا :بأن الله لا يتكلـم أو لا يرى , أو ليس فوق العالم , أو لم يستوي على العرش .فهم في الحقيقة لم يثبتـوا إلها محمودا , و لا موجودا . كما يرى ابن تيمية أن الأسماء والصفات التي تطلق علـى الله تعالى وعلى غيره من مخلوقاته ، هي أسماء منقولة بطريق التشكيك ، الذي هو نـوع من التواطؤ العام ، فإذا حمل الله صفة أو اسماً من الأسماء وحمل غيره هذه الصفة أو هـذا الاسم ، فليس معنى ذلك اشتراك الخالق مع هذا الغير في نفس الصفة ونفس الاسـم ، ولو فرضنا أن زيداً من الناس قد وصف بالعلم والقدرة ، والله سبحانه يوصف بـالعلم والقدرة ، فليس معنى ذلك أن علم الله وقدرته من نـفس علم زيد وقدرته .

ويبين ابن تيميه هذا الاختلاف بين الصفات المقولة علـى الله وعلـى غـيره بطريـق التشكيك فيقول : ليست بطريق الاشتراك اللفظي ولا بطريق الاشتراك المعنوي الـذي تتماثل أفراده ، بل بطريق الاشتراك المعنوي الذي تتفاضل أفراده .فإن الله والغـير إذا اشتركا في الصفات ، كانت الصفة الواحدة التي أطلقت على الموصوفـين متفاوتـة في مدى شد ا وعمقها بين هذين الموصوفين .ويضرب أمثلة على ذلك بلفـظ البيـاض الذي يطلق على الشيء الناصع البياض كالثلج ، وعلى ما هو أخف منه بياضاً كالعاج وكذلك لفظ الوجود فإنه يطلق على الواجب الممكن ، وهو في الواجب أمكن وأفضـل وكذلك بالنسبة للصفات التي تطلق على الله فإنا أفضل من غيرها بما ليـس يـدرك العقل مداه .والتفاضل واجب في الاشتراك اللفظي مع الله ولا يمكن أن يقع التشابه ولا التقارب في الأوصاف بين العزة الإلهية وبين غيرها . فقدرة الله وعلمه هما أكبر بمدى لا يدرك من قدرة وعلم غير الله .

---

1 ـ أنظر / ابن تيمية / التدمرية / مجمل اعتقاد السلف / المكتب الإسلامي / د ,ت / بيروت / ص 39 ـ 51

وعليه فهو يرى - أي ابن تيمية - كما أن الوجود ينقسم إلى واجب وممكن وأن الواجب أكمل وأفضل ، فإنه لا مانع من اتفاق الواجب والممكن في اسم الوجود ومعنى هذا أن الأسماء ، وإن اشتركت في المعنى الكلي فيما بينها ، فإن هذا الاشتراك لا يوجب التساوي بين الأشياء التي تشترك في المعاني ، فلو اتصف عدد من الناس بالذكاء والقوة ، فإنه من المؤكد أن مقدار الذكاء والقوة بين هؤلاء الناس يختلف من واحد لآخر ، وتتفاوت أحيانا درجاته تفاوتاً كبيراً .

وهذا يحدث في سائر الأسماء التي تطلق على الخالق والمخلوق كإسم الحي العليم والسميع والبصير وغيره . ويحدث أيضا في سائر الأسماء كعلمه وقدرته ورحمته ورضاه ، وسائر ما نطقت به الرسل من الأسماء والصفات . وهذا الاشتراك في الأسماء بين الخالق والمخلوق أدى إلى قيام خلاف ونزاع بين الناس .

(.. فقالت طائفة من شيوخ المعتزلة الذين سبقوا الجبائي : إن هذه الصفات هي حقيقة في الخالق مجاز من المخلوق .

وقالت طائفة من الجهمية والباطنية والفلاسفة عكس ذلك ، أي هي مجاز في الخالق حقيقة في المخلوق .

وقال غيرهم من طوائف النظار من المعتزلة والأشعرية والكرامية والفقهاء ، وأهل الحديث والصوفية : هذه الصفات المشتركة هي حقيقة في الخالق والمخلوق ..) 1 .

---

1 ـ ابن تيمية / الرد على المنطقيين / ص156 بتصرف

ويذكـــر ابن تيميه بأن المسلمين أخـــذوا بالرأي الأخير ، فكما أن الوجود أمــر مشترك بين الواجب والممكن ، فإن الصفات والأسماء المشتركة بين الخالق والمخلـوق هي حقيقة في كليهما ، وكــل من الخالق والمخلـوق يختـص بما يتميز به من هـذا القدر المشتـرك .

و بما أن الأسماء المشتركة بين الخالق والمخلوق هي متواطئة باعتبار القدر المشترك . فان ابن تيميه يرى أنه لهذا السبب أدرج الفلاسفة المتقدمون الأسماء المشـــككة تحـت لفظ المتواطئة . فالمتواطئة إذن هم الذين يقولون بوجود اشتراك معنـوي في الأسمـاء والصفات بين الخالق والمخلوق مع وجود تفاضل في قدر هذه الصفات والأسماء الـتي يتميز بها كل من الخالق والمخلوق .

كما يرى بأن المتواطئة لابد لهم من إثبات قدر مشترك كلي بين الـرب والمـربـوب يكون أساسه التفاضل الواقع في هذه الصفات المشتركة بين الاثنين ، وهذا هو طريـق الأولى المؤدي إلى مدلول الأقيسة البرهانية القرآنية التي يستلزم ثبوتها ثبـوت نفـس الرب . 1

----

1 ـ راجع / ابن تيمية / المرجع السابق / ص 157 ـ 158

وعلى مزاعم القائلين بأن هناك من المعاني المطلقة الكلية ما هو موجود في الخارج ، يــرد ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن ذلك بقوله : بأن القول بوجود رب حي عليم ، وبوجــود عبد حي عليم .

يحمل بعض الخائضين في الحقائق الإلهية على الاعتقاد بأنه يلزم من ذلك القول وجــود موجود في الخارج ، أو معنى كلي يشترك فيه الرب والعبد .

ويعتقدون بأن تلك المعاني المطلقة في الخارج هي عينها الموجــودة في الــرب والعبــد فالوجود صفة موجودة في الخارج يشتر فيها كل موجود حتى الرب يشترك مع غــيره في هذه الصفة ، وكذلك بالنسبة للعلم ولبقية الصفات .

ويتعرض أبن تيمية لهذه القضية بالتفصيل فيقول : بأنه لابد أن يكون لرب ما يمــيزه عن المخلوق،ويجعل الصفات على مرتبتين :

الأولى وهي الصفات التي يتصف ا كل مخلوق ، وتكون على القدر المشترك بــين الله وبين سائر الموجودات مع تفاوت في درجات الاتصاف .

والمرتبة الثانية :وهي الصفات التي يختص ا الباري سبحانه وتعالى وحده ويميز ــا دون سائر الموجودات كصفات الذات والحقيقة والماهية والوجود . 1

---

1 ـ راجع / ابن تيمية / شرح حديث ال ول / ص 11 ـ 12

وفي الوجود يحار الكثيرون من الأئمة ، فتقول طائفة منهم : إن الوجد وغيره مقـول بالاشتراك اللفظي فقط ، ويشترك في لفظ الوجود الخالق والمخلوق .

ويبين ابن تيميه أن هذا غلط عظيم وأن المتكلمة من أهل الإثبـات ، كـابن كـلاب والأشعري ، وابن كرام وغيرهم ، بل ومحققي المعتزلة هم متفقون على أن هذه الأسـماء العامة ، هي أسماء متواطئة يشترك فيها الخالق المخلوق ، ولكنها تقبل التقسيم والتنويـع وهذا التقسيم والتنويع لايكون إلا في الأسماء المتواطئة وذلك كالقول : بأن الموجـود ينقسم إلى قديم ومحدث ؛ وواجب وممكن .

ويعتبر ابن تيمية أن القول بوجود المعاني الكلية خارج الذهن ، هو قول نقلـه بعـض الفلاسفة عن أهل المنطق اليوناني كالرازي وأمثاله من المتأخرين ، فقد نقلوا عن منطـق اليونان قواعده الفاسدة ، وظنوا أن الكليات المطلقة ثابتة في الخارج ، ويقتضي تركيـب المعين من ذلك الكلي المشترك ومما يختص به ، فيلزم من كلامهم هذا أن يكون الـرب واجب الوجود مركبا من ذلك الوجد المشترك ، أو مما يختص به من الوجود والماهية

فيقول : وأن هذا مغالط لما هو مشهور عند أهل المنطق ، فعندهم أن الكليـات إنمـا تكون كليات في الذهن وليس في الأعيان ، فكيف يكون هناك معـاني كليـة خـارج الذهن . ثم يتعرض ابن تيميه لرأيه هذا بالشرح والإيضاح معتبرا أن الموجـودات لا تشترك كلها في صفات واحدة وبنفس القدر ، وإن كانت هذه الصفات موجودة فيـها أصلا ، بل كل موجود يتميز بنفسه وله صفاته وأفعاله الخاصة . الـتي قـد تتشـابه وتختلف تبعا لذات الموصوفين .1

----

1 ـ أنظر / ابن تيميه / المرجع السابق / ص 12 ـ 13

فالإنسان مع الإنسان الآخر ، وإن كان من نوع واحـد . فإنـه تختلـف مقاديرهمـا وصفا ما ، بحسب اختلاف ذاتيهما ، ويتشا ان بحسب تشابه ذلك . فلو قيل أن بـين الإنسان والفرس تشا ا من جهة أن كلا منهما حيوان ، وبينهما اختلاف من جهـة أن هذا ناطق ، وهذا صاهل ، فإنه يكون بين الاثنين : الإنسان والفـرس مـن التشـابه والاختلاف بحسب ذات كل منهما . وتقدير الذات المردة عن الصفة يعود إلى الذهـن كما أن الذهن يقدر وجودا مطلقا لا يتعين . ومن هذا يصل بنا إلى أن الموجـودات في نفسها ، لا يكون فيها وجود ذات مجرد ة عن كل صفة ولا وجود مطلق لا يتعـين ولا يتخصص .

ومجمل القول أن جميع النصوص التي تصف الله تعالى ، إنما تدل على وصفـه بـالعلو والفوقية على سائر مخلوقاته . وإن صفاته مباينة لها وتعلم تلك المباينة بـالعقل الموافـق للسمع .ولا ينفي ابن تيميه أن بعض الصفات التي يوصف ا الخالق قد يوصف ـا المخلوق كما ذكر غيره ، إنما قال باختلاف مقادير الصفات بحسب الذات كمـا مـر معنا . وقد قال عن الذين أرادوا نفي الاشتراك في الصفات بين الخالق والمخلوق بأنم وقعوا في محاذير منها :

ـ أنم ظنوا أن مدلول النصوص الواردة بذكر صفات الله هو : التمثيل .

أي أن صفات الله تعالى مثل صفات المخلوقات .

ـ انطلاقا من ذلك المفهوم مفهوم التمثيل ، فقد عطلوا النصوص عما دلت عليه مـن إثبات الصفات اللائقة بالله تعالى . ذا أساءوا لله ولرسوله .

مما سبق ذكره نستطيع أن ندرك مفهوم الصفات عند ابن تيميه بأنا ليسـت تمثيـلا : فليست الصفات التي تطلق على الله تعالى هي مثل الصفات التي تطلق على الإنسـان بل هي صفات مشا ة لها ، ومختلفة عنها بحسب الذات .

كما يفهم مما سبق عرضه أن الشيخ ابن تيمية , ليس معطلا للصفات بـل يعتبر أن التعطيل هو الحاد في أسماء الله تعالى ثم أن الصفات بحد ذا ا هي خير ما يعبر عن العزة الإلهية وجلالة الخالق سبحانه وتعالى .
ولا يقر بأي حال من الأحوال أن الصفات المشتركة بين الخـالق والمخلـوق ، هـي صفات بنفس المقادير والحدود ، فالقدر عند الله هي غيرها عند الإنسان أو أي مخلـوق كان ، ذلك لأن قدرة الله لا حدود لها ، وقدرة محدودة . 1

وعليه فخلاصة منهج ابن تيميه في الاستدلال ، هو أنه يعتقد أن كثيرا ممـا دل عليـه السمع ، هو معلوم بالعقل أيضا . وأن القرآن الكريم قد بين ما يسـتدل بـه العقـل ويرشد إليه . ففي الآيات القرآنية يبن الله ما يرشد العباد إليه ويدلهم عليـه ، كتلـك التي تدل على وحدانيته وعلمه ، وتلك التي تدل على نبوة أنبيائه وعلى الغيب وما فيـه من معاد وبعث ونشور .
ويرى ابن تيميه أن الاستدلال بآيات القرآن ، هو مطلـب شـرعي مـــــن جهتين :
الأولى : أن الشارع الحكيم أخبر ا ، ودعا للعمل ا .
الثانية : أن الأدلة التي يستدل ا ، والأمثلة المضروبة في القرآن هي أقيسة عقلية لأنـا تعلم من جهة العقل أيضا .2

----
1 , 2 ـ ابن تيمية / نفس المرجع السابق / ص 53 ـ 54

ويؤكد ذلك بأن بعض أهل الكلام يسمي هذه الأدلة بالأصول العقلية لاعتقاده بأنا لا تعلم إلا بالعقل فقط ، وأن السمع هو مجرد إخبار الصادق , وخبر الصادق لا يعلـم صدقه إلا بعد أن يحصل بهذه الأصول العقلية ، كما أن ما يعارض الكتاب و السنة إذا وزن بالميزان الصحيح ، وجد أنه من المجهولات لا من المعلومات .

والمقصود من ذلك أن من صفات الله ما قد يعلم بالعقل ، كالعلم بأنه عالم وأنه قـادر وأنه حي ، ويتفق ابن تيميه مع مثبتة الصفات على أن الحياة والعلم والقدرة والإرادة وكذا السمع والبصر والكلام هي صفات تعلم بالعقل أيضا ، كما يعلم إثبات الحـب والرضا والغضب من جهة العقل كذلك . فيقول : أن علو الله علـى المخلوقـات ومباينته لها هو مما يعلم بالعقل كما أثبت ذلك الإمام أحمد بن حنبل وغيره .

ويرى ابن تيميه أن الطريق الذي سلكه الأئمة ومن اتبعهم من نظار السنة هي : أن الله لو لم يكن موصوفا بإحدى الصفتين المتقابلتين لوجب أن يوصف بالصفة الأخـرى المقابلة لها .ولو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت ، ولو لم يوصف بـالقدرة ، لوصف بالعجز ، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام ، لوصف بالصمم والخرس والبكم . تعالى الله عن ذلك.وعلى قياس الطرد (1) يرى : أن الله لو لم يوصف بأنـه مبـاين للعالم ، لكان داخلا فيه . فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنـه ، يسـتلزم ثبـوت الأخرى , وإذا كانت تلك صفة نقص ينزه عنها المخلوقات ، فإن تنزيه الخـالق عنـها أولى . 2

---

1 ـ هو الجمع بين المتماثلين عن طريق اطراد العلة و انطباقها على المتماثلين وهما النص الأصلي و الحالة المماثلة له و التي يراد تطبيق النص عليها أي أن تكون العلة التي علق الحكم عليها موجودة في الفرع من غير معارض يمنع حكمها .

2 ـ راجع / ابن تيمية / مجموعة الرسائل / رسالة القياس / ج 2 / ص 318 /

أو أنظر / ابن تيمية / القياس في الشرع الإسلامي / منشورات دار الآفاق الجديدة /بيروت / ص 10 ـ 11 .

الخاتمـــــة :

من خلال ما مر، يتضح أن ابن تيميه ـ رحمه الله تعالى ـ قضى حياته كلها من أجـــل التمكين للإسلام (دعوة ـ وجهادا) .

ففي مجال الدعوة نجده منذ نعومة أظافره , نذر نفسه لتعلم كتاب الله وسنــة نبيــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى غدا شيخ زمانه ـ بما فتح الله به عليه وأخصه بــه مــن مواهب ـ فدفع الشبهات ودحض الخصوم وأنار السبيل للسالكين .

أما الجهاد في سبيل الله , خاضه من أوسع أبوابه ، فهو الذي وقــف في وجــه التتــار المغول عندما زحفوا على مقدسا ت الأمة و أرادوا النيل منها .

كما كانت له مواقف جهادية في هدم الكثير من الشبهات التي أثارها دعــاة الإلحــاد والزيغ من أمثال الفرق الباطنية . بالإضافة إلى المناظرات التي سجلها في وجه خصومــه من المتكلمين والفلاسفة المسلمين المتأثرين بالفكر اليوناني .

فاجتهد في تنقية الفكر الإسلامي مما علق به من أوهام جاءت من تخريجــات الفلاســفة وجمود الفقهاء وتأويلات الباطنية ، هذه الأوهام التي أدت إلى التناحر والتنــافر بــين مختلف الفرق الإسلامية .

ثار ابن تيمية في وجه هذه الطوائف كلها ، فأظهر بطلانا وزيغها وبعدها عن الكتــاب الكريم والسنة الشريفة .

كما كانت تلك المواقف الجهادية له محل معاداة من طرف كثير من علماء عصره وقضاته ، حتى وصفوه بالانفراد في مسائل عدة منها:

التوسل والشفاعة و زيارة القبور . وعلى الرغم من ذلك كله فقد خالطهم وصبر على أذاهم وقضى حياته كلها متنقلا بين السجون صابرا ومحتسبا أجره على الله دون أن يخشى في سبيله لومة لائم .

أما آراؤه في المعرفة العقدية فإنه يمكن استخلاصها فيما يلي :
- يرى ابن تيمية أن المعرفة بالله سبحانه وتعالى فطرية أي أن النفس البشـرية مجبولـة عليها منذ أن خلقها الله وأخذ منها عهدها . وقد قال بهذا المرجئة غير أنها توقفت عليها دون القول والعمل .
- يرى أن المعرفة قلبية : فالقلب بما قذف الله فيه من نور يهتدي إلى معرفة الله و مـن خلال ذلك الذوق الرباني الذي يغمر القلب ويهتدي به إلى معرفة الحق وفق ما جاء به الكتاب والسنة . فأرباب القلوب كثيرا ما يجدون في نفوسهم من الذوق والوجد عـن طريق الرياضة وتصفية القلوب ولهذا يسمون بأهل المعرفة ، لأنهم عرفـوا بالخـبرة والذوق ما يعلمه غيرهم بالخبر والنظر .

من أجل ذلك جعل الكتاب والآثار سنده الأول في بحوثه ، ودعا إلى فهمـهما فهما صحيحا وعميقا ، بقلب واع وعقل حصيف ، علما بأنه فتح باب العقل وأغلق بـاب التأويل المطلق .

وما تميز به ابن تيمية عن غيره في نظرته للعقل ، هو موافقته بين العقل والنقل ، فلا يسلط العقل على النقل ، بل يجعله في خدمة النصوص الصحيحة لاستيعا ا وفهم مقاصد الشريعة منها ، وملاحظة ما خلق الله من عوالم مختلفة وذلك ليصل الإنسان إلى معرفة الصانع الحكيم والخالق القدير – سبحانه وتعالى – دون الغوص المطلق المجرد من الضوابط ، كما هو الشأن عند الفلاسفة والحلوليين . 1

ولهذا نجد ابن تيميه في نهاية المطاف يصل إلى الحكم بعدم تعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح .

أما منهجه في الإلهيات فليس فيه نوع من التشبيه ولا التجسيم ، ولكن خصومه دسوا عليه ، وأولوا كلامه ، أو بتروه حتى لايفي بالمقصود فأشاعوا عنه ذلك ، ولذلك قال عنهم : (أنا أعلم أن أناسا يزورون علي ، كما فعلوا ذلك غير مرة) . 2

----

1 – إرجع إلى مناظرته في العقيدة الواسطية .

كما تحدى خصومه أن يأتي بدليل يقيم عليه دعواه فقال : (لقد أمهلت من خـالفني في ذلك ثلاث سنين على أن يأتي بنص عن القرون الثلاثة الأولى يخلف ما أقول) . 1

فابن تيميه تحدث عن الأسماء والصفات واثبت ذلك لله كله دون الخوض فيه كما فعـل غيره من المتأولة بل وقف عند النص واثبت لله ما أثبته لنفسه واخبر به عنه رسوله .

فهو لم يؤول تأويلا مطلقا ، لأن التأويل عنده بمعنى التفسير الذي يؤدي إلى إظهار معنى الآية ، لا إلى كيفها ـ كما ذهب إليه غيره

فالسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ لم يكفوا عن بيان معنى الآية ولا قصـروا في ذلك، ولكن كفوا عن التأويل الذي يؤدي إلى الكيف .
وقد كان عبد الله بن عباس حبر الأمة أعلم بالتأويل المراد منه التفسير.

----

1 ـ أرجع إلى مناظرته في العقيدة الواسطية

وخلاصة البحث فإنه يمكن القول بأن مذهب ابن تيميه في المعرفة العقدية هو مذهب السلف الصالح ، فهو قد اكتف بما ورد به السمع من غير زيادة أو نقصان ، فأثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا تشبيه ، ولا تجسيم وفق ما اخبر به نبيه عنه .

وإنصافا للرجل فإنه يمكن القول بأنه كان حرا في تفكيره ، جريئا في دعوته للحق واضحا في منهجه الذي اتسمت به كتبه ورسائله وتجلى في فتاويه ، وقد ظل مجاهدا محتسبا أجره على الله حتى انتقل إلى جوار به .

وبعد هذه الحوصلة الشاملة لبحث موضوع المعرفة العقدية عند الشيخ ابن تيميه ـ رحمه الله تعالى ـ من حيث المصادر المستقاة منها ، والطرق والمناهج التي استخدمت في تحقيقها خاصة منها ما تعلق بالمقارنة والنقد والتحليل .

فإنه يمكننا التأكيد على التوصيات التالية :

ـ وجوب دراسة المعرفة العقدية من مصدرها الأول والأساسي وهو كتاب الله الكريم وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك لأن دلالة الألوهية والربوبية ، قد وضحها الوحي (كتاب وسنة) ، وبينها أحسن بيان بما قدم من البراهين الفطرية والعقلية على وجود الله سبحانه وتعالى ، وعلى وحدانيته وانفراده بالتصرف في ملكه ، فهو الخالق الذي لا رب سواه ، وهو الإله الذي لا معبود غيره .

و ذا نكون قد ابتعدنا في دراستنا للجانب العقدي عن مسالك الإثارة والشبهات التي تنتج عن خوض وتعقيدات أهل الجدل .

ـ أن لا نخضع الأدلة القرآنية لتفسيرات المتكلمين وأساليبهم الجدلية ، لأن هذه الأدلة القرآنية تحمل معها براهين صدقها بما تجده في النفس البشرية من استجابة فطرية قلبية بالإضافة إلى مظاهر الكتاب المفتوح في الكون الفسيح والتي توضح بجلاء لا لبس فيه دلائل القدرة الإلهية .

ـ أن نقارن مناهج القرآن والسنة بغيرها من المناهج ، ليتبين للدارس الموضوعي مدى موافقة المناهج القرآنية للفطر السليمة والعقول الصريحة . ومدى خلوها من اللبس و الغموض والتعقيد فهي بسيطة بساطة الفطرة البشرية في استجابتها لنداء الحق عند أخذه الميثاق منها ، قال تعالى :((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا)) . 1

أي أنت ربنا وخالقنا ، فكل النفس البشرية مجبولة على ذلك العهد إلا تلك اجتالتها شياطين الإنس والجن .

ـ أن تقوم مجموعة من أهل الاختصاص على تنقية كتب التفسير مما علق بها من أراء وتأويلات تسربت إليها على أنا من أصول الدين وما هي من أصوله ، خاصة بعد أن ثبت أن هذه التأويلات والتفسيرات ترجع في أصلها إلى مصادر غير إسلامية حتى سميت بالإسرائيليات .

----

1 ـ الآية 172 من سورة الأعراف

هذه التأويلات التي سبق ذكرها , لا تتفق مع روح الشريعة الإسلامية ، بـل تلقاهـا المسلمون عن رجال التفسير على أنها تمثل أصول الدين ، ولم يتساءلوا :

ـ هل هي من أصول الدين حقا ؟ أم أصول المذاهب المختلفة ؟

ـ وهل مصدرها إسلامي أم غير إسلامي ؟ وهل تتفق مع ما فطر الله عليه عباده وجاء به وحيه أم ، لا ؟

بل تلقاها المسلمون انطلاقا من حسن ظنهم بالأقدمين وما تركوه لهم من ميراث عقدي دون الرجوع إلى مقارنته بما في كتاب الله وسنة نبيه ـ عليه السلام ـ ليعرفوا الفـرق بين ما جاء به القرآن ، وما دس في كتب المتقدمين من إسرائيليات ، ونقلوه عن حسـن ظن ، ذلك لأن الميزان الذي لا يعتريه تبديل ولا تغيير ، ولا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفه إنما هو التنزيل من الحكيم العليم ألا وهو القرآن الكريم .

وخير ما أني به هذا البحث المتواضع ، هو الاعتذار عن كل تقصير في جوانب موضوع هذا البحث العميق الذي تظهر صعوبته ويكمن إشكاله في كثرة المراجع والمصادر التي تناولته على اختلاف مناهجها ، لا في قلتها وندرتها .

وعليه فليس من السهل على الباحث الفتي أن يلم به وأن يحيط بجوانبه المتشعبة تشعب مصادره .

كما أعتذر عن كل الهفوات والسقطات التي فاتني تداركها ، وعن الأخطاء المطبعية إن وجدت ، مع أني بذلت جهدي في مراجعتها وتصحيحها ، قاصدا الوصول إلى ما يقرب من الكمال .

وأخيرا أسأل الله العلي القدير أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يعلمنا ما جهلنا ، وأن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع لخالص وجهه الكريم فينفع به ، ويجعله محل اهتمام الباحثين بغية إثرائه وتدارك نقائصه .
إنه سميع قريب مجيب الدعوات ، والحمد لله رب العالمين .

فهرس الآيات القرآنية

السورة ورقم الآية	نص الآية	صفحة
سورة البقرة (30)	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .	17 .
سورة ص (25)	يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض .	17 .
سورة المائدة (84)	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .	24 .
سورة الذاريات (56)	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .	56.
سورة النحل (36)	ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبو ا الطاغوت .	56 .
سورة إبراهيم (05)	وما أرسلنا من رسول إلى بلسان قومه ليبين لهم .	56 .
سورة الحجرات (13)	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .	56 .
سورة التحريم (03)	وإذا اسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا .	62 .
سورة آل عمران (110)	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .	66.

سورة البقرة (143)	وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحـيم .	73.
سورة طه (04)	الرحمن على العرش استوى .	79 .
سورة الرحمن (25)	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .	79 .
سورة يوسف (17)	وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين .	80 .
سورة الإسراء (15)	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .	86 .
سورة الأنعام (119)	وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه .	92 .
سورة النساء (58)	فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله و اليوم الآخر دلك خير وأحسن تأويلا .	92 .
سورة المائدة (03)	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .	92 .
سورة يوسف (111)	ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الـذي بـين يديـه وتفصيل كل شيء وهدي ورحمة لقوم يومنون .	92 .

سورة الأحزاب (34)	واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا	95 .
		97 .
سورة المائدة (03)	حرمت عليكم الميتة والدم .	
سورة البقرة (85)	أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون	98 .
سورة النجم (3 ـ 4)	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى	98 .
سورة إبراهيم (09)	جاءتم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم .	101 .
سورة النمل (14)	وجحدوا با واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً	102 .
سورة الذريات (21)	وفي أنفسكم أفلا تبصرون .	104 .
سورة الرعد (29)	الذين آمنوا وتطمئن قلوبم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب .	104 .

سورة السجدة (09)	ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون .	106 .
سورة الإسراء (36)	ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسؤولاً .	106 .
سورة البقرة (268)	يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب .	106 .
سورة ق (37)	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .	106 .
سورة النور (35)	نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء .	113 .
سورة الحجر (75)	إن في ذلك لآيات للمتوسمين .	113 .

سورة الإسراء (36)	إن السمع والبصر والفؤاد كـــل أولائـــك كـــان عن مسؤولا.	129 .
سورةالنمل (61.62.63)	أمن خلق السماوات والأرض و أنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قـــراراً وجعل خلالها أناراً ، وجعل لها رواسي ، وجعـــل بـــين البحرين حاجزاً ، أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفـــاء الأرض , الأرض ، أإله مع الله قليلاً ما تذكرون .	131 .

133 . يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعـون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز .

سورة الحج
(71ـ 72)

134 . فلينظر الإنسان إلى طعامه ، إنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً ، وعنباً و قضباً ، وزيتونـاً ونخلا ، وحدائق غلباً ، وفاكهة وأباً .

سورة التكوير
(24 ـ 31)

سورة الطارق (5 , 6 , 7 , 8)	فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب و الترائب ، إنه على رجعه لقادر .	134 .
سورة الغاشية (17 ـ 20)	أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت .	134 .
سورة يـ ـس (33)	وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون .	134 .
سورة الفرقان (61)	تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا .	134 .
سورة الأنبياء	لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا .	135 .

(22)		
سورة المؤمنون	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، إذا لذهب	. 135
(91)	كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض.	
سورة الطارق	فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق	. 135
(5 – 6)		
سورة الملك	ءامنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض	. 136
(16)	فإذا هي تمور .	
سورة الحـاقة	والملك على أرجائها ، ويحمل عرش ربك	. 136
(16)	فوقهم يومئذ ثمانية .	
سورة طـ ـه	الرحمـن على العرش استوى	. 134
(4)		
سورة النسـاء	وعاشروهن بالمعروف	. 143
(19)		
سورة الحديد	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب	. 155
(25)	والميزان ليقوم الناس بالقسط .	
سورة الإسراء	وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل	. 156

. 161

(12)   وجعلنا آية النهار مبصرة .

سورة الشورى   ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

(11)

سورة يـس   الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً

(80)   فإذا أنتم منه توقدون

سورة يـس   أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر

(81)   على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم

فهرس الأحاديث النبوية

نص الحديث	الصفحة
تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، قيل أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولي عن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الـوهن ، قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت .	.20
لا تشد الرحال إلا لثلاث مساجد : المسجد الحـرام والمـسجد الأقـصى ومسجدي هذا .	..52
... فيقال لهم هل تعرفون ربكم ، فيقولون إذا اعترف لنا عرفناه .	. 62
تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة	. 63
...لتردنا أو لأعرفنكها رسول الله .	. 64
العرافة حق ، والعرفاء في النار .	. 65
لا يزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن .	. 73
لا إيمان لمن لا أمانة له .	. 73
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .	. 85
أحت لكم ميتتان : السمك و الجراد . و دمان الكبد و الطحال .	. 97
لألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر بما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري . ما وجدناه في الكتاب اتبعناه .	. 97

هل ترون قبلتي هاهنا ؟ فوالله ما يخفى على خشوعكم و لا رعوعكم إني لأراكم من وراء ظهري . 110 .

عن النواس ابن سمعان عن النبي ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً . 111 .

مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيـب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيـب ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها طعم و ريحها مر . 112 .

اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله 114 .

إن لربكم في أيام دهركم لنفحات , ألا فتعرضوا لها . 115 .

قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمـ ـ ـن . 117 .

فهرس المصطلحات

المصطلحات	الصفحات
الطبع الاجتماعي	71 .
البديل الحضاري	71 .
الإصلاح	85 .
التحولات السياسية	20 .
الاستصحاب	20 .
الإكراهات الخارجية	21 .
الحرب المقدسة	20 .
بيضة الأمة	20 .
الصراعات المذهبية	135 . 164 .
الاستيطاني	23 .
الاستهلاكية	25 .
الصراع التاريخي	25 . 135 .
المماليك	25 .
مشيخة	33 .

استعداده الفطري .39
الاستقلال الفكري 40 , 89 ، 90 ، 107 ،
علم شرعي 44 ، 135 ، 158 ، 176 .
المنهج الرباني .160
الدلالة العقلية 45 ، 107 ، 108 ، 140 ، 142 ، 160 .
مريدين .45
الفطرة 46 . 80 .86 .87 .88 .89 .90 .91 .95 .96 .97 .99 .100 .101 .156 .157 .159 .160 .
الإكراهات الواقعية 46 .
الدهاء السياسي 46 .
التعايش 52 .
الهام 53 .86 .91 .97 .99 .100 .101 . 102 .105 .
نقلية 137 .143 .144 .147 .148 .
التواتر 137 .138 .139 .145 .
نقلية عقلية 141 .142 .143 .147 .148 .
المنهج 156 .159 .160 .170 .171 .176 .

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحـــات
المؤرخ الفرنسي : رينيه جرسيه	27 .
المستشرق الإنجليزي : جورج تريفيان	27 .
صلاح الدين الأيوبي	29 .
المقريزي	31 . 32 . 34 .
الناصر يوسف الأيوبي	33 .
المظفر قطز	33 .
بيبرس	33 .
البند قار	34 .
الظاهر بأمر الله	34 .
المستعصم	34 .
أبو البركات	37 .
شهاب الدين	37 .
عبد الدائم المقدسي	41 .
ابن قدامة المقدسي	41 .
الأوزاعي	41 .

أبي يسر . 41

ابن عساكر . 41

ابو الخير . 41

الصيرفي . 41

فخر الدين . 41

ابن علان . 41

ابن عبد الرحيم . 41

ابن شيبان . 41

ابن علي المالكي . 41

جمل الدين القز ويني . 41

شمس الدين ابن القيم . 42

الذهبي . 43

ابن كثير . 43

الهادي المقدسي . 43

ابن دقيق العيد . 45

ابن إسحاق . 56

سبويه . 56

ابن عمرو . .56
الخليل بن احمد ..56
ابن سلام . 56
بشر بن أبي حازم .56
ابن منظور . 56
ابن مالك العنبري . 59
الكسائي . 60
الأعمش . 60
عاصم .60
حمزة .60
نافع .60
أبو عمرو اليحصبي .60
عروة بن حزام . 60
ابن خلدون .65
الفارابي .65
الرازي . 68 . 66
الحسن البصري . 68
أبو حنيفة . 68

الطحاوي	. 68
الاشعري	. 68
الباقلاني	. 68
الاسفراييني	. 68
الجو يني	. 68
الغزالي	. 68
الآمدي	. 68
البيضاوي	. 68
الايجي	. 68
التفتزاني	. 68
الجر جاني	. 68
الخيالي	. 68
السيلكوتي	. 68
الخياط	.75
المسعودي	. 75
مالك بن أنس	. 168 . 160
سفيان الثوري	. 164

فهرس القبائل والطوائف والمذاهب والأديان .

التتــار	22 .31 . 33 . 42 . 46 .
الفاطميون	24 . 29 .
اليهود	28 . 67 . 165 .
المسلمون	28 . 67 .
الطولونيون	29 .
الإخشيديون	29 .
المماليك	31 . 33 .
الفلاسفة	36 . 64 . 156 . 160 . 168.
الصابئون	36 .
المتصوفة	47 .
المزدكية	67 .
زرادشية	67 .
نصارى	67 . 165 .
السلجوقية	24 .

البويهية . 24

المذهب الحنبلي .37 . 37 . 40 . 41 . 164 .

المتكلمون 64 . 65 . 66 . 77 . 156 . 165 . 167. 168 .

السلف 65 .

المعتزلة 69 . 71 . 72 . 75 . 76 . 78. 81 . 82 . 86 . 108 .

المرجئة 69 .77 . 78. 82. 80 . 169.

الاشعرية 69 . 81 . 82. 83 . 84

الجهمية 108.

فهرس الأمـاكن والبلدان

بيت المقدس . 24

مصر 24 . 31 . 41 .

بغداد 24. 31 . 33 .

سوريا 26 .

الكنيسة الرومانية 26 .

الكنيسة البابوية 36 .37 .

دمشق 33 . 34 . 36 . 37 .

حران 36.. 37..

التركية 36 . 37 .

دجلة 36 .

الفرات 36 .

تيماء 36 .

تابوك 36. .
حران الكبرى 37 .
حران الصغرى 37 .
البحرين 37. .
الجامع الأموي 37 .
المدرسة السكرية 38. .
قبيلة عكاظ 59. .
دار السكرية 38 .

فهرس المصادر والمراجع
التي اعتمد عليها في إنجاز البحث
مع ترجمة مختصـرة لبعض المؤلفـين

ـ المراجع العامة :

اسم المؤلف اسم الكتاب

ابن الأثير ....الكـ ـ ـ ـامل في التاريخ

555 ـ 630 هـ

علي بن محمد بن عبد الكـ ـريم أبو الحسن
ابن الأثير مؤرخ عالم بالنسب والأدب ، ولـ ـد
ونشأ فـي جزيرة بن عمر ، وسكن الموصـ ـ ـل
ومات بها ، من أهم مصنـ ـفاته (الكـ ـامل)
في التاريخ ، وهو اثنا عشر مـ ـتـجلداً مرتباً
غلى السنين ، بـ ـ ـ ـلغ فيه عـام 629 هـ .

ابن أبي أصيبعة .... طبقات الأطباء ج2

596 ـ 66 هـ **طبعة مصر1321 هـ .**

أحمد بن القاسم بن الخليفة بن يونـ ـ ـس

موفق الدين بن أبي أصيبعة ، طبيـ ـ ـب

ومؤرخ صاحب (عيون الأبناء في طبقـات

الأطباء) مجلدان ، ولد وأقام في دمشق

وتوفي بصرخد في حوران سوريـ ـ ـ ـ ـة .

ابن حجر العسقلاني .... الـ ـدرر الكامنـة ج1

773 ـ 852 هـ **طبعة الهند .**

أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني

من أئمة العلم والتـاريخ والحديث ، مـن

مصنفاته (الـ ـ ـدرر الكامنة في أعيـان

المائة الثـامنة) .

ابن حزم .... الإحكام في أصول الأحكام

384 – 556 هـ ج4 ، طبعة القاهرة .

علي بن أحمد بن سعيد الظاهـــــــري

الأندلسي ، ولد بقرطبة وانصرف إلـــــى

العلم والتأليف ، وكان فقيـــهاً حافـــــظاً

له نحو أربـــعمـــائة مجلداً ، من أشـــــهر

مؤلفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل) .

ابـــــن خلدون... المقدمــــــــة

732 – 808 هـ تحقيق الدكتور : علي عبد الواحد وافي .

عبد الرحمن بن محمد ، فيلسوف ومؤرخ

وعالم اجتماعي ، أصـــله من إشبـــــيليا

توفي في القاهرة ، واشتهر بكتابــــــه

(العبر وديوان المبتـــــدأ والخبر) .

ابن شاكر الكتبي .... فـ ـ ـوات الوفـيـات

...- 764 هـ ج1 طبعة القاهرة 1951 .

محمد بن شاكر بن أحـ ـ ـمد بن عبد الرحمن الكتبي ، مؤرخ وباحث عارف بالأدب ، ولـ ـ ـد في داريا من قرى دمشق ونشأ وتوفي بها ، وكان فقير أ جداً ، وقد اشتغل بتجارة الكـ ـ ـ ـتب فأثرى ، وهو صاحب (فوات الوفيات) جزءان اشتملا على 572 ترجمة . ولـ ـه (عيون التواريخ) مخـ ـطوط من ست مجلدات .

ابن كثيـر .... البداية والنهاية في التاريخ

..... - 764 هـ مطبعة السعادة بمصر 1932

إسماعيل بن كثير القرشي حافظ ومؤرخ وفقيه ، توفي بدمشق . ومن كتـ ـ ـبه (البداية والنهاية) .

ابن القيم الجوزية .... أعلام الموقعين عن رب العالمين

691 – 751 هـ طبعة دمشق 1955

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعــد
الدمشقي ، أبو عبد الله شمس الديـن
يعد من أركان الإصلاح الإسلامي ، ولد
و توفي في دمشق ، تتلمذ عن شيـــخ
الإسلام ابن تيمية ، حتى كان لا يـخرج
عن شيء من أقواله ، وهو الذي سجـن
معه بدمشق له مؤلفات كثيرة ، منـها
(أعلام الموقعين) و (زاد المعـــاد)
و (مفتاح دار السعادة) وغيرها ....

أكناس كولد تسيهر .... العقيدة والشريعة في الإســـــلام

توفي 1940 الطبعة الثانية مصر .

مستشرق مجري ترجم من كتبه إلى
العربية عن الألمانية كـــــتاب
(العقيدة والشريعة) ونشر بعض
الكتب بالعربية .

البغــــدادي .... أصــــول الدين

توفي 429 هـ الطبعة الأولى اسطمبول 1928

عبد القادر بن الطاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي ، عالم مــن أئمة أصول الدين ، ولد ببغداد .

السيــــوطي.. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

849 – 911 هـ مطبعة الموسوعات ، مصر 1321 هـ .

هو جلال الدين عبد الرحمن بــن أبي بكر بن محمد ، إمام حافــظ ومؤرخ وأديب ، له نحو ستــمائة مؤلف ، اعتزل الناس في الأربعين من عمره ، نشأ في القاهرة وتوفي بها .

الشهرستاني .... الملــــل والنحل

479 – 548 هـ ج1 طبعة القاهرة 1348 هـ

البغـ ـ ـ ـ ـدادي .... كتاب المعتبر ، نشره سليمان الندوي
.....- 547 هـ في حيدر أباد الدكن 1350 هـ .
أبو البركات البغدادي هبة الله بن
علي بن ملكا البغدادي .

الإمام الشافعي .... الرسالة المطبعية الأميرية
150 – 204 هـ بالقاهرة 1321 .
محمد بن إدريس بن العباس بـن
عثمان بن شافع أحد الأئمـ ـ ـ ـة
الأربعة عند أهل السنة وإليـ ـ ـه
نسبه الشافعية كافة ، توفـ ـ ـ ـي
بمصر وقبره معـ ـروف بالقاهرة
له كتب عدة أشهرها كتـ ـ ـاب
(الأم) في الفقه سبع مجلـدات
والرسالة في أصول الفقه وغيرها ....

صبحي المحمصاني .... الأوضاع الـ ـتشريعية في الدول العربية
ط 2 بيـ ـروت 1909 .

الطحاوي .... المختـــصر في الفقــه

239 – 321 هـ **طبع دار الكتاب العربي بالقاهرة 1370 هـ**

أحمـد بن محمد بن سلامــــة
فقيه حنفي ، ولد في طحــا من
صعيد مصر ، عاش في زمن بـن
طولون ، وتوفي بالقاهرة .
له (متن في العقيدة) طبعــه
المكتب الإسلامي مع شرحـــه
لابن أبي العز ، وتخريج المحدث
الألبـــاني .

خليل بن شاهين الظاهري .... زبدة كشف الــممالك

813 – 873 هـ **طبعة القاهرة .**

غرس الدين وقد عرف بابـــن
شاهين ، وهو أمير من أمـــراء
المماليك في مصر ، كان مـــن
المولعين بالبحث ولع تصانيــف
عديدة تبلغ الثلاثين مصنفاً ومنها:
(زبدة كشف الممالك وبيــان
الطرق والمسالك) .

علي سامي النشار ....مناهج البحث عن مفكري الإسلام
طبعة دار المعارف المصرية .

عبد المتعال الصعيدي .... المجـــددون في الإسلام
طبعة القاهرة 1965 .

الغزالـــي .... المنقذ من الضلال – طبعة دمشـق

450 – 505
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
الطوسي أبو حامد ، حجة الإسـلام
فيلسوف متصوف له نحو مائتـي
مصنف ، مولده ووفاته فـي
الطابران (قصبة طوس بخرسان).

- محك النظر في المنطق
المطبعة الأدبية ، ط1 مصر 1951 .
- القسطاس المستقيم ، تحقيق الأب
فتكور شلحت اليسوعي ، طبـع
- الجام العوام عن علم الكـلام
طبعة مصر 1932.

هنري لاوست .... آراء ابن تيميه السيـ ـ ـ ـاسيـ ـة

HENRY LAOUST والإجتماعية ، طبع القاهرة 1939

وباللغة الفرنسية :

Essai sur les doctrines sociales et politiques de IBNTAIMYA

محمود زيدان .... الإستقراء والمنهج العلمي طبعـة بيـروت 1966 .

ماكس مارهوف .... من الإسكندرية إلى بغـ ـ ـ ـ ـداد

MAX MEYERHOF ترجمة عبد الرحمن بدوي في كتاب

1291 – 1364 هـ التراث اليوناني في الحضـ ـ ـ ـ ـارة

1874 – 1945 م الإسلامية – طبع مصر .

مستشرق طبيب ألماني ، نشـ ـ ـر

الأسماء الطبية لجالينوس بالعربية

مع ترجمة ألمانية وشروح ولـ ـه

كتب عديدة في الطب أهمهـا

(العشر مقالات في العين) .

المقريزي .... - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب طبعة مصر 1963 .
766 – 845 هـ
أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريزي مؤرخ الديـــار المصرية ، أصله من بعلبك ، ونسبه إلى حارة المقارزة (من حـارات بعلبك في أيامه) . ومن كتبـــه (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) . وغيرها
- المواعظ والاعتبار في ذكـــر الخطط والآثار المطبعة الأميريـــة ببولاق 1994 .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ج1 نشر لجنة التأليف والترجمـــة والنشر ، القاهرة 1942 .

محمد سلام مذكور .... التعريف بالشريعة الإسلامية طبعة القاهرة 1964 .

محمد أبو زهرة .... ابن تيمية الطبعة الثانية دار الفكر

محمد دهجة البطار .... حياة شيخ الإسلام ابن تيمية الطبعـــة الثانية المكتب الإسلامي بيروت 1972

محمد علي الشوكاني .... إرشاد الفحول
1173 – 1250 هـ إلى تحقيق الحق من علم الأصول ـ
مطبعة صبيح بالقاهرة 1951

محمد علي التهانوي .... كشاف اصطلاحات الفنون ، مادة
توفي بعد 1158 هـ الشريعة
هو ابن القاضي محمد حامـد بن طبعة الأستانة 1317 هـ
صابر الفاروقي الحنفي التهاوني
باحـ ـ ـث هندي له كشـ ـ ـاف
الإصطلاحات في مجلدين .

كارل بروكلمان .... تاريخ الشعوب الإسلامية .

فهرس مراجع ومصادر الشيخ ابن تيميه

1 ـ مجموع الفتاوى الكبرى .

2 ـ مقدمة أصـ ـول التفسير .

3 ـ منهاج السنـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـة .

4 ـ العقيدة الحموية الكبرى .

5 ـ الرسالة التـ ـ ـدمرية .

6 ـ الإيمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـان .

7 ـ شرح حديث النـ ـزول .

8 ـ معارج الوصـ ـ ـ ـ ـول .

9 ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

10 ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة .

11 ـ الواسطة بين الحق والخلق .

12 ـ المظالم المشتركة .

13 ـ الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان .

14 ـ الكلم الطيب .

15 ـ صحيح الكلم الطيب .

16 ـ العبودية .

17 ـ العقيدة الواسطية .

18 ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .

19 ـ الاختيارات العلمية (ملحق بالمجلد الرابع من الفتاوى)

20 ـ درء تعارض العقل والنقل .

21 ـ القياس في الشرع الإسلامي .

22 ـ الرد على المنطقيين .

23 ـ نقض المنطق .

24 ـ الاحتجاج بالقدر.

25 ـ قاعدة في المعجزات والكرامات .

26 ـ مجموعة التفسـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـيير .

فهرس الموضوعات

الإهداء .... ص. 3
العرفان 4
الرموز المستعملة 5
المقدمة 6

الفصل الأول

(عصر الشيخ ابن تيمية)

المبحث الأول: - العوامل السياسية :

العوامل السياسية الخارجية 21
العوامل السياسية الداخلية 25

المبحث الثاني : - الحالة الإقتصادية والإجتماعية :

العوامل الإجتماعية 31
العوامل الثقافيـة 37

الفصــل الثاني

(حياة ابن تيمية)

المبحث الأول :

مولده , نشأته 42

شيوخه , تلامذته.. 43

المبحث الثاني :

مواقفه 46

وفاته 47

مؤلفاته 54

الفصل الثالث :

المعرفة لغة واصطلاحاً

المبحث الأول : - المعرفة عند اللغويين :

المعرفة من حيث المبني 60

المعرفة من حيث المعني 61

المبحث الثاني : - المعرفة في اصطلاح المتكلمين :

المعرفة عند المعتزلة :.. 74

- هل المعارف ضرورية أم نظرية.. 76

من أصول المعرفة عند المعتزلة : 77

المعرفة عند المرجئة :.. 79

- المعرفة عند جهم بن صفوان...................................... 81

- المعرفة عند الصالحي.. 82

المعرفة عند الأشعرية :.. 83

- المعرفة تعني الإيمان 84

- القول باللسان والعمل بالأركان 85

الفصل الرابع

(مصادر المعرفة عند بن تيمية)

المبحث الأول : - المصادر الشرعية :

- الكتاب : 89

- السنــة : 96

المبحث الثاني: - المصادر الذاتية :

الفطريــة :.. 101

القلبية : 105

الإلهامية : 110

الفصل الخامس

(طبيعة المعرفة العقدية عند الشيخ ابن تيمية)

المبحث الأول : نقلية

الأدلة السمعية مقدمة على العقلية : 120

تقدم النقل لا يعني إهمال العقل : 125

المبحث الثاني : نقلية عقلية :

العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح : 127

الحواس وأثرها في المعرفة النقلية العقلية : 129

الفصل الســـــــــادس
(منهج ابن تيمية)

المبحث الأول :

مناهج المتكلمين في التعامل مع :

- الكتاب 133
- السنة 141

المبحث الثاني :

منهج ابن تيمية في التعامل مع :

- الكتاب 143
- والسنة 148

طرق الاستدلال عند ابن تيمية :

- بالآيات القرآنية 156
- بقياس الأولى 161

الخاتمة 173
فهرس الآيات القرآنية : 188
فهرس الأحاديث النبوية : 190
فهرس المصطلحات : 191
فهرس الأعلام : 193
فهرس القبائل : 197
فهرس الأماكن والبلدان 199
فهرس المراجع والمصادر التي 201
اعتمد عليها البحث مع ترجمة
مختصرة لبعض المؤلفين .
فهرس مراجع ومصادر ابن تيمية 213
التي لها علاقة بالبحث .
فهرس الموضوعات..215